

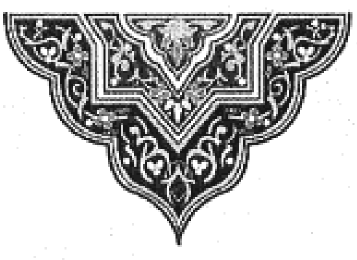
قطاع الثقافة مكتبة الشعراوى الإسلامية



الغيب

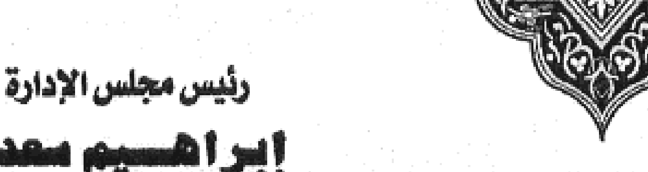
فضيلة الشيخ

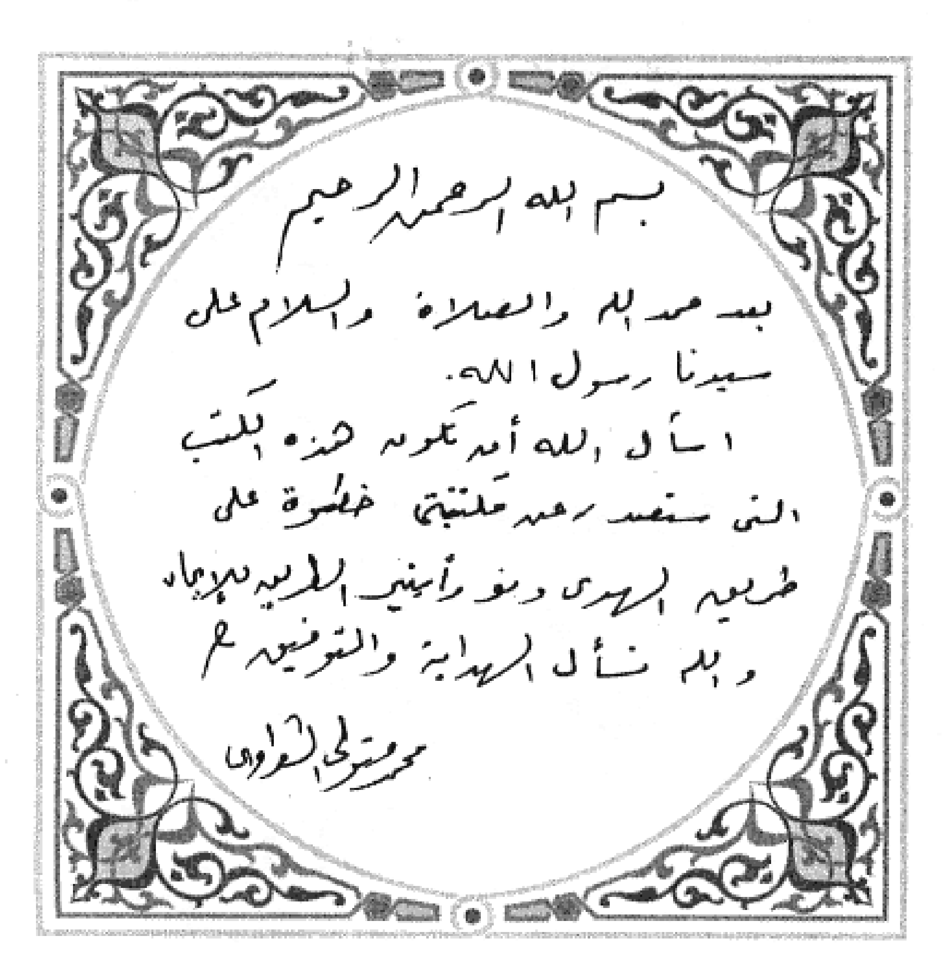
محمد متولى الشعراوى



رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم سعده





بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله والصلاة والسلام على
سيدنا رسول الله.
أسأل الله أن تكون هذه الكتب
التي ستصدر بعد مكتبتي خطوة على
طريق الهدى ونور أمتي الإسلامية بالإيمان
والله نسأل الهداية والتوفيق

محمد متولي الشعراوي

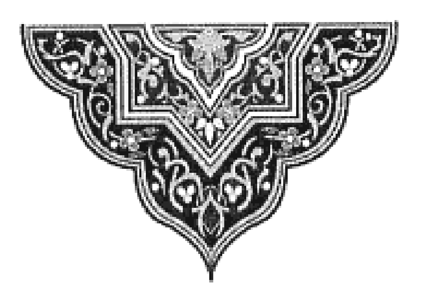
الغلاف
أسامة أحمد نجيب

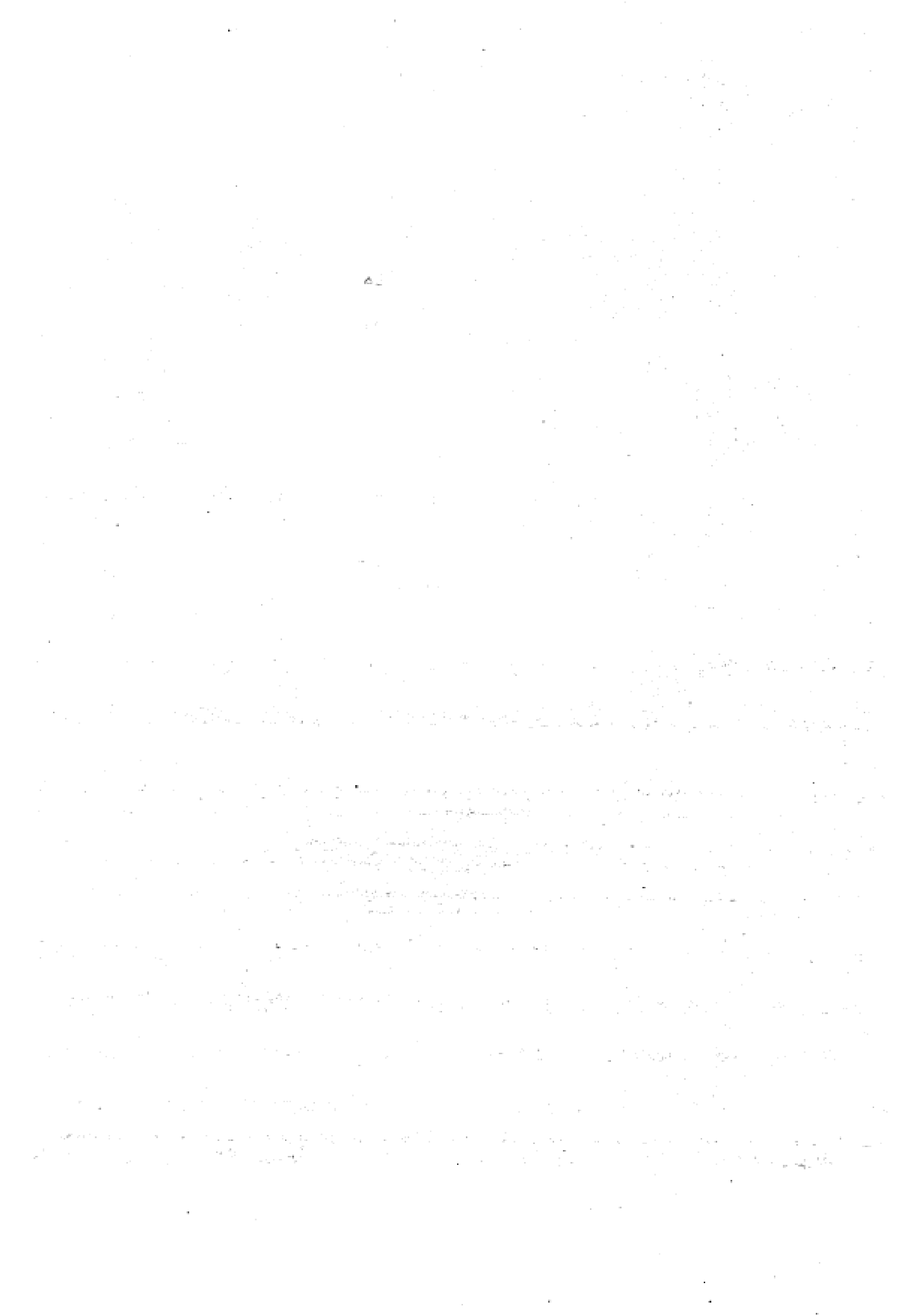
الإخراج الفني
عبد الكريم محمود



الفصل الأول

ما هو الغيب ؟





الغيب هو ما غاب عنك ..
فالمشهود ليس غيباً .. أى : أن
ما تشهده العين لا يعتبر غيباً ..
بل لابد أن يكون بعيداً عن عينك ..
والمشهود منا يخرج عن حكم
الغيب .

والإنسان إذا نظر إلى حياته .. وجد أن ما يعرفه هو أقل القليل .. وأن ما يغيب عنه هو الكثير .. والمشهود لنا هو حياتنا فقط .. وهى دائرة ضيقة جداً .. وحتى إذا أضفنا إليها ما نشاهده فى التليفزيون أو غيره من الوسائل التى تنقل إلينا أحداثاً بعيدة .. فإن هذا الذى نعرفه منها على كثرته ، إنما هو أقل القليل بالنسبة لما يحدث فى الدنيا كلها .

وقد نكون فى مكان واحد .. ولكن فى غرف منعزلة ، فيغيب عنا ما فى الغرف المجاورة لنا .. وقد نجلس مع أشخاص نتحدث معهم .. ويكونون مشهودين لنا .. ولكن يغيب عنا ما يدور فى عقولهم وصدورهم .

وهكذا نرى فى حياتنا اليومية .. أن أقل القليل هو المشهود ، وأن أكثر الكثير هو الغيب عنا .. لهذا يقول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ فى كتابه العزيز :

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء]

فإذا كان هذا عن العلم المشاهد .. فهو أقل القليل .. وإذا كان هذا عن القضايا العامة فهو أيضاً أقل القليل .. لأنه ما من قضية بُحثت .. وتفرغ لها الباحثون .. إلا عرفوا أشياء وغابت عنهم أشياء ..

إنك لن تجد قضية دنيوية أو قانوناً دنيوياً .. إلا احتاج إلى تعديل أو إلى تبديل بعد فترة قليلة من الزمن .. لماذا ؟ لأن الذين درسوا هذه القضية أو تلك ، أو وضعوا هذا القانون أو ذاك .. علموا أشياء .. وغابت عنهم أشياء .. فلما مر الوقت وظهَرت الأشياء التى كانت غائبة .. اقتضت التعديل ، وهذا أمر طبيعى .. لأن كل عصر له قوانينه وله قضاياه .. كل عصر يكشف عن أشياء غابت عَمَّنْ عاشوا فى العصر الذى قبله ، ويُوجِدُ قضايا جديدة غابت عن علمهم ..

لكن لما كان المُشرِّع هو الله سبحانه وتعالى وحده .. ولأنه جل جلاله لا يغيب عنه شىء .. فعلمه أزلى .. وكل ما فى الكون فى علمه حتى قبل أنْ يُوجده ، فهو سبحانه لا يَعْزُبُ عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء .

علاج مشاكل الدنيا بمنهج الله

إننا إذا أردنا أن نعالج مشاكل الدنيا .. علاجاً لا يحتاج إلى تغيير أو تبديل .. فلنأخذ هذا العلاج ونستلهمه من منهج الله .. لأنه سبحانه وتعالى .. هو الذى خلق الداء وخلق الدواء .. وهو الذى خلق الإنسان ، ويعرف ما يُصلحه وما يُفسده .. وهو جل جلاله الذى خلق الكون .. ويعرف ما يصلحه وما يفسده .

وإذا كنا فى معاملاتنا الدنيوية نتجه إلى صانع الآلة ليصلح ما فسد فيها .. لأنه هو الذى صنعها .. وهو العليم بأسرار ما صنع .. فإذا لم يكن ميسراً أن يتجه الناس إلى صانع الآلة نفسه .. لكثرة الإنتاج وانتشار توزيعه فى العالم كله .. فإن هذا الصانع يقوم بتدريب الفنيين .. على كيفية إصلاح الآلات التى ينتجها .. ويطبع ملايين الكتالوجات التى ترشد الناس إلى كيفية إصلاح هذه الآلة ..

فإذا جئنا لإنسان لم يُدَرَّبْ على الإصلاح بواسطة الصانع .. ولم يقرأ الكتالوج الذى يعينه على الإصلاح ، فإنه يفسدها ولا يصلحها .. إنك إذا جئت بنجار مثلاً ليصلح لك التليفزيون .. أفسده لك ولامك الناسُ على عدم الالتجاء إلى الصانع أو إلى المتخصص فى إصلاح هذه الأجهزة .

نأتى لمنهج الله ونتركه !

إننا نفعل هذا فى أمـورنا المادية ، لكننا نتجـاهلها فى أمـور الكون .. إننا نعرف عـن يقين أن الله هو خـالق هذا الكون ، وهو خـالق الإنسان .. وهـو واضع منهج الحيـاة فى الكـون .. ومُـبلِّغـه لنا .. لكنـنا نأتى إلى مـنهج الله سبحانه وتعالى فنتركه وَنُشَـرِّعُ لأنفسنا بعقولنا القاصرة وفهمنا المحدود ، ثم نعـتقد أننا بذلك نُصلِح .. بينما نحن مفسدون .. لأننا تركنا ما أعطاه لنا الخالقُ .. وبدأنا نأتى بأشياء جديدة من عندنا .. معـتقدين أننا أقدر من الصـانع على صنعته ..

وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَإِذَا قِـيلَ لَهُمْ لا تُفْـسِـدُوا فِي الأَرْضِ قَـالُوا إِنَّمَـا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (١١) أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ (١٢) ﴾

[البقرة]

إن كل حـركـات الإصـلاح البـعـيـدة عن منهج الله هـى إفساد فى الأرض .. لأنهـا بعدت عن الخالق الذى يعلم .. إلى المخلوق الذى لا يعلم إلا قليـلاً .. وما من شىء خلقه الله إلا حـدث منه صلاح فى الكون .. ومـحال أنْ يتـرتب عليه فساد .

فالشمس ـ على سبيل المـثال ـ تنير الكون منذ ملايين

السنين .. ومع ذلك لم يحدث منها الإفساد الذى حدث من المصانع وعادم السيارات فى سنوات قليلة ..

والزرع خلقه الله ليعطى الكون الهواء النقى اللازم له .. لكن الإنسان جاء وأزاله وبنى بدلاً منه مصانع ومُدناً .. فحدث تلوث الجو وثقب الأوزون الذى يهدد البشرية كلها .

إذن : ما هو غيب عنا كثير .. وما هو مشاهد منا قليل .. هذا بالنسبة للحياة الدنيا .. فإذا أضفنا إلى ذلك .. أن هناك عوالم أخرى جعلها الله سبحانه وتعالى غيباً عنا.. لا نراها ولا نعرفها .. فعالم الجن غيب عنا .. سواء منهم الجن الصالح أو الشياطين .. والله سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الكريم :

﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لا تَرَوْنَهُمْ .. (٢٧)﴾ [الأعراف]

وعالم الملائكة غيب عنا .. فنحن لا نرى الملائكة .. وهناك عوالم أخرى فى علم الله .. لا نعرف عنها شيئاً .

علمنا محدود .. لكل ما هو موجود

وهكذا نرى أن علمنا محدود جداً .. بالنسبة لما هو موجود فى هذا الكون .. سواء كان من الماديات أو من عالم الغيب .. هناك عَالَمٌ مشهود .. هو عَالَمُ الْمُلْك .. ذلك هو العَالَم الظاهر الذى نشترك فى مشاهدته جميعاً .. وهناك عالم الملكوت ، وهو ذلك العالم الخفى ، الذى لا يريه الله ـ سبحانه وتعالى ـ إلا لمن ارتضى من رسول أو عبد صالح ..

وإذا قرأنا القرآن .. نجد قول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الأنعام]

وهكذا نرى أن هناك ملكوتاً لله يريه من يشاء من عباده .

والغيب فى عالمه الكبير .. له قسمان : غيب نسبى .. وغيب مطلق .. الغيب المطلق هو ما فى علم الله وحده .. لم يخرج ليمارس مهمته فى الكون .. فلكل شىء فى الكون مهمته .. ولكل شىء فى الكون ميلاد ونهاية .. حتى ارتقاءات البشر لها ميلاد ، هذه الخاصية ليست للإنسان وحده .. بل لكل شىء فى الكون ميلاد ونهاية .

النظريات العلمية مثلاً لها ميلاد .. لتمارس مهمتها فى

الكون .. فإن صادفت باحثاً يبحث عنها كشفها الله سبحانه وتعالى له .. وإن لم تصادف باحثاً .. كشفها الله تبارك وتعالى لمن يبحث عن آياته فى الأرض .. بما نسميه نحن بالصدفة ..

وكثيراً ما تجد باحثاً يبحث فى شىء ما أو نظرية ما .. وينتهى به البحث إلى شىء آخر تماماً .. لم يكن يبحث عنه .. ولكن الله سبحانه هداه إليه .. بما نطلق عليه نحن البشر .. الصدفة .. أو يجعله الله يلحظ شيئاً لم يكن يلحظه من قبل فيغير بحثه تماماً .. ويتجه اتجاهاً آخر .

الشفاء من المرض ـ أيضاً ـ له موعد وله ميلاد .. فعندما يأذن الله سبحانه وتعالى بالشفاء .. يهدى الطبيب إلى المرض ويكشفه له فيُشخِّصه ثم يعالجه فيتم الشفاء بإذن الله ، وقد يذهب المريض إلى أكبر الأطباء فلا يشفى .. ثم يأتى طبيب حديث التخرج .. ويكشف عليه ويُشخِّص المرض فيشفى المريض !!

هل هذا الطبيب الناشىء .. حديث التخرج أكثر علماً من أساتذة الطب الذين علّموه ؟ نقول : لا .. لأنه أخذ العلم عن هؤلاء الأساتذة .. ولكنه كشف على هذا المريض فى موعد مولد الشفاء .. فهداه الله إلى المرض فعالجه وتم الشفاء ..

الله أعلم رسوله من الغيب

إذن : فالغيب المطلق .. هو ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .. ولم يخرج من علمه بكلمة « كن » ليمارس مهمته فى الكون .. ولذلك نقرأ فى القرآن الكريم قول الحق جل جلاله :

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ .. (٥٩) ﴾ [الأنعام]

وهذا الغيب المطلق .. لا يعلمه أحد إلا الله سبحانه وتعالى .. ولكن رسول الله ﷺ أخبرنا عن أشياء وقعت وكانت غيباً .

إن كل علامات القيامة الصغرى التى تحققت هذه الأيام من ضياع الأمانة .. وتعالى الحفاة العراة فى البنيان .. وأن يصبح الولد نكد أبيه وأمه .. وأنْ يودّ المرءُ زوجته ، ويهجر أمه .. وأن يكون هناك شح مطاع .. وينتشر الفساد فى الأرض .. ويصبح الدم مباحاً فى كثرة حوادث النسف والاغتيالات والحروب الأهلية .. وأن تُزخرف المساجد .. وتكون القلوب خربة ليس فيها إيمان .. وأن يعلو المنافقون فى المناصب .. وأن يُعطَى الشئ لغير أهله ..

كل هذا وغيره من مئات النبوءات .. أخبرنا عنها رسول الله ﷺ وتحققت .. حين أخبر رسول الله ﷺ بها كانت

غيباً ثم تحققت .. فهل كان رسول الله ﷺ يعلم الغيب ؟

الله - سبحانه وتعالى - يقول لرسوله فى القرآن الكريم :

﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ .. (٥٠)﴾ [الأنعام]

إن الله سبحانه وتعالى .. أمر رسوله أن يخبرنا أنه لا يعلم الغيب .. فكيف نبأنا رسول الله - عليه الصلاة والسلام - بأشياء كثيرة حدثت .. حتى أن الرسول الكريم كان فى غزوة خيبر عندما رأى مقاتلاً .. يقاتل بين صفوف المسلمين بشجاعة أذهلت المؤمنين ، فقال رسول الله ﷺ : إن هذا الرجل من أهل النار »!

ويروى لنا أبو هريرة رضى الله عنه : كنا مع رسول الله ﷺ فى غزوة خيبر ، فقال رسول الله ﷺ « إن هذا الرجل فى النار » . فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراح ، فجاء رجل من أصحاب الرسول ﷺ وقال : يا رسول الله ، أرأيتَ الرجل الذى ذكرتَ أنه من أهل النار قد قاتل والله فى سبيل الله أشد القتال وكثرت به الجراح .

فقال رسول الله ﷺ « هو من أهل النار » . فكاد بعض الناس يرتاب .. فبينما هو على ذلك وجد الرجل ألم الجراح فاستعجل الموت ، فوضع سيفه فى الأرض ثم

تحامل عليه فقتل نفسه .

إن رسول الله ﷺ قد عرف أن هذا المقاتل من أهل النار .. مع أنه كان يقاتل فى هذا اليوم فى سبيل الله بشجاعة وجرأة نادرة .

كما أنبأ رسول الله عليه الصلاة والسلام أصحابه بأشياء أخرى ثم حدثت .. ففى غزوة الخندق .. وأثناء حَفْر الخندق حول المدينة ليحموها من هجوم الكفار .. تنبأ رسول الله ﷺ بأن المسلمين ستُفتح لهم الشام وفارس واليمن .

فقد قال البراء بن عازب الأنصارى : « لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرض لنا فى بعض الخندق صخرة عظيمة شديدة لا تأخذ بها المعاول ، فشكونا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فلما رآها أخذ المِعْوَل وقال : بسم الله وضرب ضربة فكسر ثلثها ، وقال : الله أكبر أُعْطيتُ مفاتيح الشام ، والله إنى لأبصر قصورها الحمراء إن شاء الله ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثاً آخر فقال : الله أكبر أُعْطيتُ مفاتيح فارس ، والله إنى لأُبصر قصر المدائن الأبيض ، ثم ضرب الثالثة فقال : بسم الله فقطع بقية الحجر . فقال : الله أكبر أُعطيتُ مفاتيح اليمن .. والله إنى لأبصر أبواب صنعاء من مكانى هذا » .

وهكذا تنبأ رسول الله ﷺ بغيب سيحدث بعد عدة سنوات ورواه عليه الصلاة والسلام للمؤمنين الواقفين حوله .

نبوءات كثيرة لرسول الله ﷺ ، كلها تحققت .. فكيف يطلب الله سبحانه وتعالى من رسوله أن يقول للمؤمنين في قرآن كريم لا يتبدل ولا يتغير إلى يوم القيامة : ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ..(٥٠)﴾ [الأنعام] ثم ينبئنا رسول الله ﷺ بهذا الكَمِّ الهائل من الغيب ؟

نقول : إن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب .. ولكن الله سبحانه وتعالى أعلمه بكل ما قال من غيب .. فهو ﷺ لا يعلم الغيب بذاته .. ولكن الله سبحانه وتعالى أعلمه بأحداث من الغيب يرويها لنا .. كدليل على صِدْق رسالته وبلاغه عن الله ..

إن كل غيب أخبرنا به رسول الله ﷺ .. هو إعلام من الله سبحانه وتعالى لرسوله .. فالرسول عليه الصلاة والسلام لا يعلم الغيب .. ولكن الله تبارك وتعالى أعلمه بما شاء .. ولكن لا يعلم الغيب المطلق إلا الله سبحانه وتعالى .

ما هو الغيب النسبى ؟

نأتى بعد ذلك إلى الغيب النسبى .. وهو الغيب الذى يعلمه البشر .. ما هو الغيب النسبى ؟ إنه شىء لا أعلمه.. ولكن يعلمه غيرى ... فإذا سُرق منى شىء مثلاً .. فإننى لا أعلم من هو السارق .. إنه غيب عنى .. وقد لا تعلم الشرطة من هو السارق .. ولكن الذى سرق يعلم أنه السارق .. والذى أُخفيَتْ عنده المسروقات .. يعلم من السارق ، والذى بيعَتْ له المسروقات يعلم مَن السارق .

وقد يُوقِّع حاكم أو وزير قراراً بتعيينىَ فى منصب معين .. إن الذى وقّع القرار يعلمه .. وقد يعلمه مدير مكتبه .. أو مَنْ كان موجوداً عنده وقت توقيع القرار .. لو أن الموجود عند ذلك الحاكم وقت توقيع القرار .. اتصل بى وقال لى : ستُعين فى منصب كذا .. وأخفى عنى أنه شهد توقيع القرار .. أأقول إنه يعلم الغيب؟.. طبعاً لا ..

إذن : الغيب النسبى .. هو غيب يعلمه غيرى .. ولكنى لا أعلمه .. فإذا كنت عائداً من السفر .. وكان معى صديق عَرف موعد عودتى ثم عاد قبلى بأيام .. وقال : إن فلاناً سيعود يوم كذا .. وعُدْت فى ذلك اليوم فعلاً .. أيكون صديقى قد علم الغيب ؟.. طبعاً لا ..

وهكذا كل الأمور التى نسميها نحن غيباً .. وهى ليست

غيباً مطلقاً .. ولكنها غيب نسبى ..

كل هذه الأمور هى التى يمكن أن يعلمها البشر .. وهى التى يحاول الدجالون وغيرهم ممن يستعينون بالشياطين أن يُوهموا الناس بأنهم يعرفون الغيب .. والحقيقة هى أنهم لاَ يعرفون غيباً .. وإنما هى أحداث وقعت فعلاً .. ولكنها غيب عمَّنْ يسأل عنها .. أما الغيب الحقيقى .. الغيب المطلق ، فلا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى ..

التنبؤ .. والغيب

ومن الغيب النسبي أيضاً .. ما يُسمَّى بالتنبؤ أو الفراسة .. ذلك أنني مثلاً أعرف من عادات فلان وشخصيته .. أنه يثور لأسباب معينة .. كأن يكون يكره شخصاً ما ولا يريده أن يدخل إلى بيته .. فيأتى هذا الشخص إلى بيته فى غيابه .. حينئذ أقول : إذا حضر فلان الآن فستحدث مشاجرة .. ثم يحضر فلان فعلاً فتحدث المشاجرة .. أأكون بتنبؤى هذا عالماً بالغيب ؟

وقد أرى ابنى لا يذاكر .. يفتح الكتاب وينظر فيه ولكنه لا يستوعب شيئاً .. أو يتظاهر بالمذاكرة .. ويغلق باب حجرته ولكنه لا يذاكر ، فأقول : هذا الولد سيرسب.. ويأتى الامتحان ويرسب الولد فعلاً .. هل يعنى ذلك علمى بالغيب ؟ أم أن المقدمات هى التى دَلَّتْ على النتائج ؟

إنك لو تحدثتَ إلى أستاذ فى الجامعة يُدرِّس لتلاميذه وقلت له : مَنْ سينجح ؟ ومَنْ سيرسب ؟ .. إنه يستطيع أن يُحدِّدهم لك .. بل إنه يستطيع أن يقول : إن فلاناً سيكون الأول .. وفلاناً سيكون الثانى .. وفلاناً سيكون الثالث .. ويأتى الامتحان وتظهر النتيجة طبقاً لما قاله الأستاذ .. فهل معنى ذلك أن هذا الأستاذ يعلم الغيب ؟ طبعاً لا .. وإنما استخدم فراسته وذكاءه وخبرته فى التنبؤ بالنتائج .

حواجز الغيب ثلاثة

إن حواجز الغيب الدنيوى ثلاثة :

أولها : **حاجز الزمن الماضى** .. كأن يكون قد حدث شىء فى زمن مضى .. لم أكن أعيش فيه .. وفى هذه الحالة يكون هذا الشىء غيباً عنى لا أعرفه .. فكل أحداث التاريخ قبل أن نولد ، هى غيب عنا .. نأخذها عن الرواة الذين رووها أو شهدوها ، وفى هذه الحالة نأخذها كخبر لا نستطيع أن نقول إن كان صحيحاً أو غير صحيح .

إن فى كتب التاريخ روايات متناقضة .. وأشياء نسبت لغير أصحابها .. وأشياء أضيفت وهى لم تحدث .. ولا يستطيع أحد أن يقول : أين الصدق ؟ وأين الكذب ؟ .. بل علينا أن نأخذها على علاتها .. منسوبة إلى الرواة أو المؤرخين .. وكثير من أحداث التاريخ يملؤها التزوير والتزييف .

فى التاريخ المعاصر .. وفى العصر الذى نعيش فيه .. نجد أمثلة واضحة لذلك .. إذا مات زعيم من الزعماء أو حاكم .. وجدتَ مَنْ يكتب تاريخه وينسب له الأمجاد .. ومن يكتب تاريخه ويصفه بأبشع الصفات ، ومن يقول عنه : إنه كان رجلاً عادلاً .. ومن يقول عنه : إنه كان رجلاً فاسقاً .. ومن يقول عنه : إنه كان رجلاً ظالماً ..

وكل واحد من هؤلاء يدعم كتابه بالوثائق .

إن علماء التاريخ يقولون : إن الوثائق المزورة فى تاريخ البشر أكثر من الوثائق الصحيحة .. بل إن الكتب السماوية لم تسلم من هذا التزييف .. فأخفوا بعض ما فيها .. وما لم يخفوه حرفوه .. ثم جاءوا بكلام من عندهم وقالوا هو من عند الله .. مع أنه ليس من عند الله سبحانه وتعالى .

وفى ذلك يروى لنا القرآن الكريم .. قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ (٧٩) ﴾ [البقرة]

وقول الحق جل جلاله :

﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾ [البقرة]

وهكذا نرى أنهم حرفوا كلام الله تبارك وتعالى .. فنسبوا له جَلَّ جلاله ما لم يَقُلْهُ . وقالوا : هو من عند الله .. بل إننا لابد أن نلتفت إلى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ .. (٧٥) ﴾ [البقرة]

أى : أنهم لم يُحرِّفوا أو يُبدِّلوا كلام الحق سبحانه

وتعالى عن جهل أو عن عدم فهم .. وإلا لكان لهم عذرهم أنهم جهلوا .. أو لم يفهموا .. ولكنهم بدّلوه من بعد ما عقلوه .. أى من بعد ما فهموه فهماً عقلياً سليماً .. وأنهم بدّلوه وغيّروه عن عَمْد .

فإذا كان ذلك يحدث بالنسبة لكلام الله سبحانه وتعالى .. فما بالك بأحداث البشر وكلام البشر .. كان الله جل جلاله فى الرسالات السابقة يأتمن عباده على حفْظ كتبه وكلامه من أى تبديل أو تحريف .. فلما غيَّروا وبدَّلوا .. ونسبوا إلى الله ما لم يَقُلْهُ .. قضى الحق سبحانه وتعالى أن يحفظ هو القرآن الكريم بقدرته .. مصداقاً لقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩)﴾ [الحجر]

وهكذا بقى القرآن الكريم محفوظاً بقدرة الله تبارك وتعالى .. لا يتبدل ولا يتغير إلى يوم القيامة .

إذن : حجاب الغيب الأول هو الزمن الماضى .

أما الحجاب الثانى ، فهو : **حجاب الزمن المستقبل ..** فلا أحد يستطيع أن يعرف ماذا سيحدث فى المستقبل .. فأحداث المستقبل حجبها الزمن عنا .. حتى تصبح حاضراً فنعرفها .. ولكننا لا نعرف ماذا سيحدث غداً .. والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا .. ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان]

وهكذا يبقى المستقبل كتاباً مغلقاً أمامنا جميعاً .. لا نعرف ماذا سيقع فيه .. ولا ما سيحدث لنا .. ولا لمن حولنا .. ولا للعالم كله .

أما الحجاب الثالث .. فهو : **حجاب المكان** .. ذلك أننى وأنا جالس فى مكان .. لا أعرف ماذا يحدث فى المكان الآخر ، حجاب المكان يمنعنى . فمثلاً وأنا جالس فى القاهرة ، لا أعرف ماذا يحدث فى لندن .. أو فى نيويورك .. أو فى البقاع الأخرى من العالم .

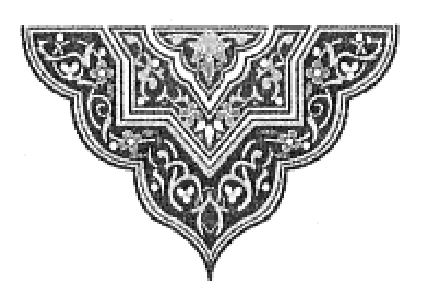
فكل هذه الأحداث غَيْبٌ عنى .. بل إننى وأنا جالس فى مكتب لا أعرف ماذا يحدث فى بيتى .. بل لا أعرف ماذا يحدث فى الغرفة المجاورة لى .. ولذلك فإن حجاب المكان من حُجُب الغيب بالنسبة للإنسان .

وجاء القرآن الكريم فمزّق كل هذه الحجب .. مزّق حجاب الزمان .. ومزّق حجاب المكان .. ومزّق حجاب المستقبل .. مزّقها فى أحداث مشهورة ومعروفة .. لا يستطيع أحد أن يُكذِّبها .. حتى أعداء هذا الدين .. وذلك من إعجاز القرآن الكريم .. الذى له إعجازات لا تنتهى إلى يوم القيامة .



الفصل الثانى

القرآن والغيب



الله تبارك وتعالى .. جعل فى القرآن الكريم إعجازاً لا ينتهى إلى يوم القيامة .. ففى كل جيل للقرآن الكريم عطاء .. ويمضى الزمن وتتغير الدنيا .. ويظل القرآن الكريم معجزة وإعجازاً ..

إن القرآن الكريم قد نزل معجزة لغوية للعرب .. لأن العرب نبغوا فى البلاغة وفن الكلام .. ولذلك جاء القرآن الكريم يتحداهم فيما نبغوا فيه ..

المعجزة من الله لابد أن تتحدى البشر فيما نبغوا فيه .. لأنها لو تحدتهم فيما لا يعرفون أو لا يتقنون .. لقالوا : لو أننا تعلمناه أو أتقناه لاستطعنا أن نفعل أكثر مما جاءت به المعجزة .. ولكن الله سبحانه يأتيهم بما عرفوه وأتقنوه .. ووصلوا فيه إلى قمة الحضارة فى وقتهم .. ثم يتحداهم فيه بمعجزة لا يقدرون عليها .. ليظهر عجزهم وضعفهم أمام قدرة الله سبحانه وتعالى .. علَّهم يؤمنون .

إن قوم فرعون .. اشتهروا بالسحر وأتقنوا فنونه .. فجاءتهم المعجزة فيما أتقنوه .. وقوم عيسى نبغوا فى الطب .. فجاءت معجزة عيسى من نفس نوع نبوغهم .. والعرب كانوا قوم بلاغة وفصاحة .. كانوا يتبارون بالشعر .. ويتفاخرون بالشعراء .. ويقيمون الأسواق التى يجتمع فيها الناس .. ليتبارى الشعراء بأشعارهم ..

ولذلك جاء القرآن يتحداهم فيما نبغوا فيه .. وتصاعد التحدى أن يأتوا بمثل القرآن .. ثم أن يأتوا بعشر آيات .. أو أن يأتوا بآية .. وفي ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٣٨) ﴾ [يونس]

لكن لو كان القرآن الكريم إعجازاً لغوياً فقط لجمد .. وذلك لأن رسالة محمد ﷺ هي خاتم الرسالات وهى للدنيا كلها .. للعالم أجمع .. وليست للعرب وحدهم .. والمعجزة اللغوية تكون تحدياً للعرب لأنه نزل بلغتهم .. أما بالنسبة للمسلمين من غير العرب فإن هذا التحدى يكون غير موجود .. لو أن القرآن الكريم اقتصر - فقط - على الإعجاز اللغوى ..

إذن : كان لابد أن يكون التحدى ليس للعرب وحدهم .. ولكن للدنيا كلها ..

ومن هنا جاء القرآن الكريم .. ليمزق حجاب الغيب إلى يوم القيامة .. ليعطى لكل جيل معجزة .. فمزَّق القرآن الكريم حجاب الزمن الماضى .. ومزَّق حجاب الزمن المستقبل .. ومزَّق حجاب المكان .. وهكذا مزَّق القرآن الكريم كل حُجُب الغيب .. ليعطينا معجزات لا زالت باقية حتى الآن .. وستبقى إلى يوم القيامة .

القرآن صحح لنا ما حرفه السابقون

كيف مزق القرآن الكريم حجاب الزمن الماضى ؟ لقد جاء بأنباء السابقين . جاء بها مصححة .. ليهدم أخطاء كانت قد شاعت .. وإضافات كانت قد أضيفت إلى كتب الله .. وأكاذيب كانت قد قيلت عن كَوْن الله سبحانه وتعالى ..

إن أول ما جاء به القرآن هو بداية الخلق وكيف حدثت ؟

لقد روى لنا قصة الخلق الأول لآدم وحواء ، وكيف أن الله سبحانه خلق كل شيء من ذكر وأنثى ليستمر تكاثر الخلق ، وجاء العلم الحديث ـ علم الإحصاء ـ شاهداً على ما رواه القرآن الكريم .

فقد أثبت علم الإحصاء .. أنه كلما مر الزمن .. تكاثر الخلق .. ومعنى ذلك أنه كلما عُدْنا إلى الوراء .. قَلَّ عدد الخلق .. فلو فرضنا أن البشرية الآن ألوف الملايين من الأشخاص .. فقد كانت منذ عدة قرون مئات الملايين فقط .. ومنذ عدة قرون قبلها كانت عشرات الملايين . وكلما عدنا إلى الوراء قَلَّ العدد حتى يصل إلى عدة

ألوف .. ثم إلى عدة مئات .. ثم إلى عشرات ، ثم إلى الأصل وهما ذكر وأنثى .. آدم وحواء .

وهكذا مزّق القرآن الكريم حجاب الماضى فى الخلق .. فروى لنا الرواية الصحيحة .. عن كيف بدأ الخلق ، كما مزق أيضاً حجاب المستقبل ، فأخبر أن هناك من سيأتون ليقولوا : إن الإنسان قرد !! وأن أصل الحياة كذا وكذا ، وسيأتون بنظريات كاذبة فلا تستمعوا إليهم - لأن هؤلاء مضلون - يريدون لكم الضلال .

وفى هذا يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١) ﴾ [الكهف]

وتحققت نبوءة المستقبل .. وجاء من يضل .. ويقول : إن أصل الخلق كذا .. ويفترون على الله الكذب .. ونقول : إن هؤلاء جميعاً جاءوا ليثبتوا صدق القرآن الكريم .. لأنهم لو لم يأتوا بنظرياتهم المضلة .. لقلنا : إن القرآن الكريم قد أخبرنا أن مضلين سيأتون .. وأنهم سيجادلون فى خلق السماوات والأرض وخلق الإنسان .. ولكنهم لم يأتوا ولم يقل أحد شيئاً عن خلق الإنسان وخلق السموات

والأرض .. فأين هم هؤلاء المضلون الذين أخبرنا عنهم القرآن الكريم ؟

لكنهم جاءوا ، وكونهم قالوا ما قالوه .. جعلنا نقول : سبحان ربنا العظيم .. أخبرنا بالمضلين فجاءوا ، وقال لنا : إنهم سيجادلون فى خَلْق السموات والأرض وخَلْق الإنسان .. فجادلوا فيهما .. وهكذا استخدم الله سبحانه وتعالى الكفار والمضلين فى خدمة قضية الإيمان .. وإثبات صدق القرآن .

معجزة الخلق وإخبار الله عنها !

لقد أخبرنا الحق جل جلاله فى القرآن الكريم .. أن كل شىء خلقه من ذكر وأنثى ..

فقال سبحانه :﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ(٤٩)﴾ [الذاريات]

وقال جل جلاله :

﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَىٰ (٤٥)﴾ [النجم]

ولابد أن نلاحظ أن كلمة زوج .. ليست معناها اثنين كما يتبادر إلى أذهان بعض الناس .. بل إن معناها فرد واحد من شيئين متشابهين فى الخلق .. مختلفين فى الوظيفة ..

نجد هذا فى جميع خلق الله سبحانه وتعالى .. فالحيوانات كلها من ذكر وأنثى .. والحشرات كلها من ذكر وأنثى .. والنبات كله من ذكر وأنثى .. ولا يوجد مخلوق من ذكر دون أنثى .. أو من أنثى دون ذكر .. إلا فى المعجزات التى أراد الله سبحانه وتعالى أن يثبت فيها طلاقة قدرته فى الكون وفى الخلق .

إن آدم عليه السلام خُلِق بدون ذكر أو أنثى .. خلقه الله مباشرة .. وجاء خَلْق حواء .. من ذكر بدون أنثى ..

فقد خُلقت من ضلع آدم .. وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ يَـٰأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً .. ① ﴾ [النساء]

وخلق الله سبحانه وتعالى عيسى بن مريم من أنثى بدون ذكر .. وهكذا تمت مراحل الخلق الأربعة : خَلْق بدون ذكر أو أنثى .. وخَلْق من ذكر بدون أنثى .. وخلق من أنثى بدون ذكر .. وخلق من ذكر وأنثى .. لتثبت طلاقة القدرة لله سبحانه وتعالى .

وهكذا فإن كل شيء فى الكون مخلوق من ذكر وأنثى ، ولابد من التلقيح للإنجاب .. والعلم الحديث قد وصل إلى ذلك أخيراً .. بحيث إنهم إذا أرادوا القضاء على آفة من الآفات .. أو حشرة من الحشرات ، فإنهم إما يقضون على الذكور .. وإما يقضون على الإناث .. فتنقرض الحشرة أو الآفة ، ولو بقى ذكر وأنثى .. لعادت الآفة أو الحشرة من جديد .. أشد مما كانت .

اختيار من يكفل مريم

القرآن الكريم مزق حجاب الغيب بالنسبة للخلق .. ثم جاء القرآن الكريم ليمزق حجب الماضى .. فأخبرنا عن أشياء لم يكن يعرفها أحد .. واقرأ فى القرآن الكريم كل آية مسبوقة بقوله تعالى « ما كنت » لتعلم كيف مزّق القرآن حجب الغيب ..

وفى ذلك يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) ﴾ [آل عمران]

أى : يا محمد .. ما كنت موجوداً عندما أجروا القرعة فى شأن مريم .. لاختيار من الذى يكفلها .. ذلك أن مريم وهبتها أمها لله سبحانه وتعالى .. فلما وضعتْها حملتها إلى الكهنة فى بيت المقدس .. وقالت : لقد نذرتها إلى الله.. فأراد زكريا أن يتولى كفالتها وتربيتها .. ولكن الكهنة رفضوا ذلك .. لأن كلاً منهم يريد أن يكفلها .. واتفقوا على أن يلقوا بأقلامهم .. ومن تُخرج القرعة قلمه.. هو الذى يكفل مريم .. فأخرجت القرعة قلم زكريا عليه السلام فكفلها ..

واقرأ قول الحق سبحانه :

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [القصص]

إن الله سبحانه وتعالى يقول لرسوله ﷺ : إنك ما كنت هناك عندما كلم الله موسى بجانب الجبل الغربى فى طور سيناء ..

وقوله تعالى :

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [القصص]

أى : ما كنت مقيماً فى أهل مدين .. لتعرف ماذا حدث لشعيب عليه السلام .. وماذا قال لقومه وهو يدعوهم إلى منهج الله .. وقول الحق جل جلاله :

﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا .. ﴿٤٩﴾﴾ [هود]

وهكذا أخبر الله سبحانه وتعالى رسوله .. بشىء لم يكن يعلمه .. هو أو أحد من قومه .. لإثبات أن تمزيق حجب غيب الماضى هو من الله سبحانه وتعالى .. لأن الله تبارك وتعالى حين مزق الماضى لرسوله ﷺ .. إنما أظهر أشياء كانوا يحرصون على إخفائها .. بالنسبة لمنهج الله.. وصحح افتراءات على أنبيائه كانوا يُروِّجونها ، من ذلك

ما ادعاه أحبار اليهـود أن سليمان عليه السلام كان يحكم بالسحر وما تتلوه الشياطين ..

لقد أوحى الحق سبحـانه وتعالى إلى رسوله ﷺ بأنباء لم يكن هو يعلمـها ولا قومـه .. حتى لا يقول كـافر : إن رسول الله ﷺ قد أخذ هذا العلم عن فلان أو فلان ..

إن الوحى جاء بأمور لا يعلمها رسول الله عليه الصلاة والسلام ولا قـومه .. ليصحح مـا أضافه الكهنة وغـيرهم إلى منـهج الله ، ليكون مـعلومـاً من الجـمـيع أن هذا التصـحيح من الله سبـحانه وتعالى .. لـيحق الحق ويزهق الباطل .. فلا يستطيع أحد أن يجادل ..

والله سبـحانه وتعـالى يقول : ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ .. (٤٩)﴾ [هود] أى : أن هذه الأنبـاء كـانت غـيبـاً لا يعلمـهـا أحد .. وهى من الله جل جلاله لرسوله ﷺ ..

تصحيح ما أضافوه للديانات السابقة

وهكذا مزَّق القرآن الكريم حجب الماضي .. ليصحح الديانات السابقة على الإسلام .. ويبين كيف أضيف إليها أشياء نُسبت إلى الله افتراء عليه ..

ثم مزَّق القرآن الكريم حجب المكان لرسول الله ﷺ .. واقرأ الآية الكريمة في قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه]

وكان لابد أن يلتفت الناس إلى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ۝٦﴾ [طه] لأننا عرفنا الآن .. أن في باطن الأرض ثروات أكثر .. من تلك التي فوق سطحها..

وهكذا أنبأ الله تبارك وتعالى رسوله .. في قرآن كريم لا يتبدل ولا يتغير إلى يوم القيامة .. عمَّا في باطن الأرض .. وكان هذا غيباً عن الدنيا كلها . غيب مكان .. فلم يكن أحد وقت نزول القرآن يعرف أو حتى يتخيل .. أن في باطن الأرض ثروات هائلة .. فجاء القرآن الكريم ومزَّق غيب المكان وأخبرنا عما في باطن الأرض .. وأننا يجب أن نلتفت إليه .

وأعطى الله - سبحانه وتعالى - غيباً آخر .. من غيب

المكان لرسوله ﷺ .. فى قوله تعالى :

﴿ الٓمٓ (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ .. (٣) ﴾ [الروم]

وقت نزول القرآن فُسِّرت « أدنى » على أنها قريبة من أرض العرب .. ثم جاءت الخرائط الجيولوجية .. التى صُوِّرَتْ أخيراً بالأقمار الصناعية لتثبت أن المنطقة التى جرت فيها المعركة الفاصلة قرب بيت المقدس .. هى أكثر الأماكن انخفاضاً على سطح الأرض ، وكلمة أدنى تعنى المكان المنخفض .

وهكذا كشف القرآن الكريم غيب المكان مرة أخرى .. بأن ذكر أن المنطقة التى جرت فيها المعركة بين الروم والفرس .. هى أكثر الأماكن انخفاضاً على سطح الأرض.. وهذا لم نعرفه إلا فى السنوات الأخيرة .

إن الله سبحانه وتعالى أعطى فى القرآن الكريم إعجازاً جديداً فى المكان .. واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ أَوَ لَمْ يرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ (٣٠) ﴾[الأنبياء]

وهكذا أنبأنا القرآن الكريم عن الأصل الواحد للسماوات والأرض .. وكيف تم الفصل بينهما ..

ولعلنا لا زلنا نذكر تجربة صعود الإنسان إلى القمر .. وكيف كان العلماء يحلمون ـ قبل إتمام هذه التجربة ـ

بالعناصر الغريبة التى سيجدونها على سطح القمر .. وكيف أن هذه العناصر سيكون فيها معادن ومواد كيماوية وغير ذلك مما لم يعرفه أهل الأرض من قبل .. وكيف أنها لو أضيفت إلى العناصر الموجودة فى الأرض.. لنتج عنها مواد لم تعرفها البشرية .. وأطلقوا العنان لأحلامهم .. عن هذا الكشف الجديد .. الذى سيغير الكون .. واشتد الخيال وامتلأت الرؤوس بالأحلام .. ثم ماذا حدث ؟

صعد الإنسان إلى القمر ومشى فوق سطحه ، وجاء بعينات من الصخور على السطح ومن الصخور التي تحت السطح ، وعاد بها إلى الأرض ، وبدأت المعامل تعمل بنشاط ، ثم جاءت النتيجة ، إن سطح القمر مكوّن من نفس عناصر سطح الأرض ، وأن صخور القمر فى تركيبها هى نفس صخور الأرض .

لقد انتهت الرحلة .. بأنهم أخذوا يوزعون صخور القمر على كبار زوار الولايات المتحدة .

هذه المسألة انتهت بعد ذلك .. لأن أحداً من الزوار لم يكن حريصاً على أن يحصل على صخرة .. موجودة على سطح الأرض .. وانتهت الرحلات إلى القمر تماماً .

إن الذين صعدوا إلى سطحه .. أثبتوا أنه لا إله إلا الله

وأن محمداً رسول الله .. كما أثبتوا إعجاز القرآن الكريم .. وكيف أنه من أربعة عشر قرناً أخبرهم بالحقيقة .. فلما صعدوا .. وجدوا هناك الحقيقة القرآنية .

ونستطيع أن نمضى أكثر وأكثر فى ضرب الأمثلة .. على أن الله سبحانه وتعالى كشف لرسوله ﷺ غيب المكان ، ولم يكتف بكشف غيب المكان فى الأرض .. ولكنه كشفه فى السماوات وفى أعماق البحار .. وفى باطن الأرض ..

هذه أماكن لم يكن الإنسان يعلم عنها شيئاً .. بل كانت غيباً بالنسبة له .. ثم كشف الله تبارك وتعالى من علمه للإنسان .. ما جعل الغيب مشاهداً وحقيقة .

القرآن كشف حجاب النفس البشرية

القرآن الكريم كشف أيضاً من حجب الغيب .. حجاب النفس البشرية .. الله سبحانه وتعالى أخبر نبيه ﷺ بما يدور فى صدور المنافقين والكافرين ولم يقولوه ..

فقال جل جلاله : ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ .. ⑧﴾ [المجادلة]

هذه الآية الكريمة .. نزلت فى المنافقين والكافرين .. وقول الله سبحانه وتعالى : ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ .. ⑧﴾ [المجادلة] دليل على أنهم أسَرُّوها فى أنفسهم ولم يخبروا بها أحداً .. ولو لم يكن هذا الإخبار عنهم حقيقة ، وأنهم فعلاً قالوه فى أنفسهم .. لقالوا ـ وهم الحريصون على الطعن فى هذا الدين وهدمه ـ إن محمداً جاء بكلام . يقول إنه مُنزَّل من الله سبحانه وتعالى بأننا قلنا فى أنفسنا كذا وكذا .. ونحن لم نقل هذا الكلام .. ولا خطر على بالنا ..

ولكن القرآن الكريم نزل فكشف ما فى نفوسهم وأذهلهم .. وفوجئوا بالحقيقة .. حتى أنه لم يخطر على بالهم أن يقولوا إننا لم نَقُلْ هذا فى أنفسنا حتى على سبيل الادعاء والكذب !!

وإذا قرأت سورة التوبة فى القرآن الكريم .. تجد فيها

آيات كثيرة .. تنبيء رسول الله ﷺ .. بما فى صدور المنافقين .. واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ .. (٥٨) ﴾ [التوبة]

وقوله سبحانه :

﴿ وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ .. (٦١) ﴾ [التوبة]

ثم يأتى التحدى من الله تبارك وتعالى .. فى كل ما يخفيه المنافقون ويعتبر غيباً على رسول الله والمؤمنين .. فيقول الحق جل جلاله :

﴿ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ (٦٤) ﴾ [التوبة]

وهكذا كشف الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم لرسوله عليه الصلاة والسلام ما فى صدور المنافقين .. دون أن يجرؤ واحد منهم على أن يُكذِّب ما أخبر به الله .. وأنزله فى القرآن الكريم ..

الله أخبرنا بما فى صدور المنافقين

إن الله سبحانه وتعالى .. فضح ما فى صدور المنافقين .. عندما جاءوا لرسول الله ﷺ .. ليشهدوا بأنه رسول الله حقاً .. واقرأ فى سورة المنافقين قول الحق عز وجل :

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ①﴾ [المنافقون]

رغم أن المنافقين جاءوا ليشهدوا أن محمداً رسول الله .. والله تبارك وتعالى يعلم أن محمداً ﷺ رسوله .. ومعنى هذا أن قول المنافقين وافق شهادة الله سبحانه وتعالى .. ورغم أن القولين متفقان .. فإن الحق جل جلاله قد أكد فى نفس الآية أن المنافقين كاذبون ..

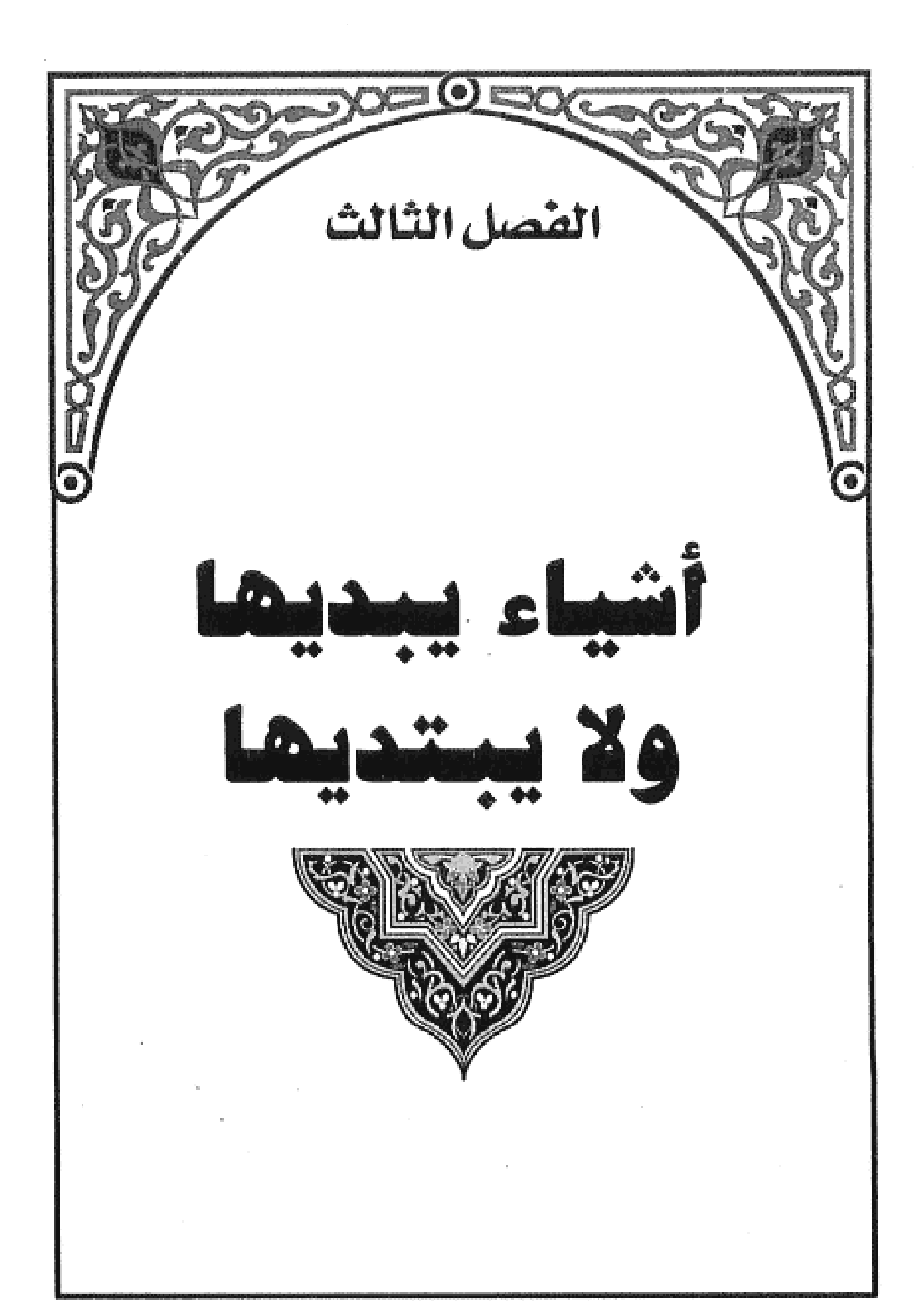
كيف يكونون كاذبين ، وقد شهدوا بما شهد به الله جل جلاله ؟

نقول : لأن المنافقين قالوا هذا بألسنتهم .. شهدوا أن محمداً ﷺ رسول الله .. باللسان .. ولكن قلوبهم منكرة لذلك ، غير مؤمنة بالله ورسوله .. فأخرج الله ما فى قلوبهم وفضح نفاقهم .. حتى فى شهادتهم بالرسالة لرسول الله ﷺ .

لقد كشف القرآن الكريم حجاب الغيب الماضى وصحّح

كثيراً مما حرفوه فى كتب الله .. وكشف غيب النفس البشرية .. وأظهر ما يخفيه الكافرون والمنافقون فى صدورهم .. فبُهتوا ولم يستطيعوا رداً .

القرآن الكريمَ كشف أيضاً حجاب المستقبل .. وأخبرنا عن أشياء ستقع بعد أيام .. وأشياء ستقع بعد سنوات .. وأشياء بعد قرون .. وكلها تحققت .. مما يدل على أن القرآن الكريم .. كشف حجب الغيب كلها .. لنعلم أن الله سبحانه وتعالى هو القائل .. وهو الفاعل .. وأنه جل جلاله لا غيبَ عنده ، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ..



الفصل الثالث

أشياء يبديها ولا يبتديها



الله جل جلاله يعلم الزمن من
حُجُب الغيب .. والزمن المستقبل ،
هو حجاب الغيب الذى يحاول كثير
من الناس أن يعرفوا أحداثه
بالالتجاء إلى العرافين والمنجمين
وغيرهم .. وهم ينفقون على ذلك
الكثير .. ولا يتنبهون إلى أن من رحمة الله .. سبحانه
وتعالى .. أنه جعل المستقبل غيباً لا يعرفه أحد ..

ولكن الناس تتعجل الأحداث .. وتريد أن تعلم
ما يخفيه الله سبحانه وتعالى فى قدره .. ولو تنبهوا
قليلاً .. لما سعوا إلى ذلك .. ولسجدوا لله شكراً على أنه
حجب عنهم أحداث المستقبل .. وإلا لفسدت الحياة
وأصبحت جحيماً .

وعلى سبيل المثال .. لو أن الله - تبارك وتعالى -
كشف لنا حجاب المستقبل ، فكيف ستكون حال أُمٍّ عرفت
أن ابنها سيموت عندما يبلغ من العمر عشرين عاماً ..
ماذا يكون شعور الأم وهى ترى ابنها كل يوم .. وتعرف
ما سيحدث له .. وكيف يمكن أن تعيش ؟.. وكيف تكون
حياتها وهى تنظر إلى ابنها كل صباح ومساء .. وتعرف
أنها ستفقده فى يوم معين أو سنة بعينها ، بينما هو يكبر

أمام عينيها عاماً بعد عام .. ويزداد فتوة ورجولة .. كيف ستكون حياة هذه الأم ؟

أليس من رحمة الله بها .. أنه أخفى عنها أحداث المستقبل .. لتعيش سعيدة تحلم وتخطط .. إلى أن يقع قدر الله .. فتكون قد أُعطيتْ عشرين سنة من السعادة .. بدلاً من عشرين سنةً من الشقاء فى انتظار الأجل المحتوم .

كيف يمكن لرجل يرى مستقبله أمامه ويعرف أن ثروته ستضيع ويصبح فقيراً .. أو أنه سيفقد وظيفته ويصبح عاطلاً .. أو سيتركه أولاده عندما يبلغ سن الشيخوخة وحيداً .. وسيلقون به فى ملجأ للعجزة .. كيف تكون حياة مثل هذا الرجل ؟ وكيف يمكن أن يعيش ؟

إن الذى يعطينا الأمل فى الحياة ، ويعطينا قدرة التحمل والسعى والمشقة ، وغير ذلك مما تحتويه الحياة الدنيا من تعب ، هو أننا نأمل أن المستقبل سيكون أحسن من اليوم .. وأن ما هو قادم سيزيل متاعبنا ويفتح أمامنا الأبواب المغلقة .. ويظل هذا الأمل يملأ قلوبنا .. وأحداث الحياة تمضى بخيرها وشرِّها ، بحلْوِها ومُرِّها .

إن هذا الأمل فى الغد .. هو الذى يدفعنا إلى العمل .. وإلى عمارة الأرض .. وإلى كل ما تتطلبه الحياة الدنيا .

لكننا لو عرفنا أحداث المستقبل .. وما تحمله لنا من كوارث .. لما عملنا شيئاً .. بل ربما دفعنا هذا إلى الانتحار والعياذ بالله .. تخلصاً مما عرفناه قادماً .. وكرهنا أن نستمر فى الحياة حتى يقع لنا .

وهكذا نرى أن الله - سبحانه وتعالى - أخفى عنا أحداث المستقبل رحمة بنا .. وحتى نُقْبِل على الحياة الدنيا بأمل .. بدلاً من أن نعيشها بألم .. وأن نتمتع بحياتنا بدلاً من أن نشقى بها .. هذه رحمة الله التى يرفضها عدد من البشر .. وهم يحاولون جاهدين .. بل وينفقون المال ليعرفوا ماذا سيقع فى المستقبل !

إن الله سبحانه وتعالى .. له فى قضائه دائماً رحمة .. فماذا لو علمنا القضاء وغابتْ عنا الرحمة ؟.. والله سبحانه وتعالى له فى كل قدر حكمة .. ولكننا أحياناً لا ندركها .. إن إخفاء المستقبل هو رحمة بالبشرية كلها .

كيف كشف القرآن حجاب المستقبل؟

نأتى بعد ذلك إلى الأشياء .. التى مزّق فيها القرآن حجب الغيب .. إن أول مثل نبدأ به هو الحرب بين الفرس والروم ، لقد قامت الحرب بين الفرس والروم وانتصر الفرس .. ولأن الفرس أمة كافرة .. فرح الكفار .. ولأن الروم أهل كتاب .. حزن المؤمنون .

الحرب قامت بين دولتين عُظْميين فى هذا الوقت .. ولا علاقةَ لها بالإسلام ولا بمنهجه .. ولكن الله سبحانه وتعالى .. يثبت قضية حق فى الكون .. وهى أنه ينصر من فى قلبه إيمان على مَنْ يملأ الكفر قلبه .. والفرس كفرة يعبدون النار .. والروم من النصارى .. وهم أهل كتاب ، وإذا بالقرآن الكريم ينزل على رسول الله .. فى قوله تبارك وتعالى :

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِى أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم]

نزلت هذه الآيات الكريمة .. تعلن أن الروم سينتصرون بعد بضع سنين .. وفى وقتها قال الكفار .. هذا كلام من عند محمد .. الروم لن ينتصروا .. وقال المؤمنون : هذا

كلام من عند الله تبارك وتعالى .. مُنَزَّل على محمد ﷺ .. « الروم سينتصرون » .

واحتدم الخلاف .. ووصل التحدى أن راهن الكفار على أن الروم لن ينتصروا .. وراهن المؤمنون على أن الروم سينتصرون .. وكان من المراهنين سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه .. الذى راهن بأربع من الإبل .. على أن انتصار الروم سيتم بعد سبع سنين .

ومضت السنوات السبع .. ولم يحدث قتال ولم ينتصر الروم .. وفرح الكفار وبدأوا يشككون المسلمين فى قرآنهم ودينهم .

لقد ذكر أبو بكر ذلك لرسول الله ﷺ .. فقال له الرسول : ما بضع سنين عندكم ؟ فقال أبو بكر : دون العشر .. فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه : اذهب فزايدهم وازدد سنتين فى الأجل .

ولم تمض السنتان حتى انتصر الروم على الفرس .. وفرح المؤمنون .. ونهى رسول الله ﷺ أبا بكر والصحابة عن المراهنة .. وقال لهم إن الإسلام لا يقرها ولا يسمح بها .

وهنا لا بد أن نتساءل .. من الذى يستطيع أن يحدد نتيجة معركة حربية ستحدث بعد تسع سنوات ؟.. بل

ويحدد المنتصر فيها والمهزوم .. وينزل ذلك فى قرآن كريم .. مُتعبَّد بتلاوته لا يتغير ولا يتبدل إلى يوم القيامة .. من الذّى يضمن الأحداث تسع سنوات كاملة ؟ ومن الذى يضمن بقاء العداء طوال هذه السنين ؟

ألم يكُنْ هناك احتمال أن يتفق قادة الروم والفرس على الصلح ولا تحدث معركة ؟ ألم يكن هناك احتمال أن تحدث المعركة .. وينتصر فيها الفرس ؟.. إنهما دولتان كبيرتان .. وفترة الاستعداد للحروب بينهما أخذت تسع سنوات .. ألم يكن ممكناً أن يحسن الفُرس خلال هذه السنوات التسع استعدادهم ويطوروا سلاحهم بما يحقق لهم النصر على الروم ؟

ثم لماذا يتحدث القرآن الكريم عن هذه المعركة .. وهو كتاب منهج .. وهذه المعركة بعيدة عن المنهج .. ولكن لأن أحداث الكون كلها فى علم الله سبحانه وتعالى .. ولأن قائل القرآن .. هو خالق الكون .. الذى لا يمكن أن يخرج شيء فى كونه عن إرادته ومشيئته .. ولأنه سبحانه وتعالى إذا قال للشيء « كن » فيكون .. نزل القرآن بأمور هى فى علم الله تبارك وتعالى .. يبديها ولا يبتديها ..

لقد بيَّن لنا القرآن الكريم .. حكم الله وقضاءه فى

معركة حربية تحدث بعد تسع سنين .. ومع أن أحداً لا يستطيع أن يتنبأ بنتيجة معركة حربية .. حتى وقت بدايتها أو حتى أثناء سيرها ، فكل طرف يدخل المعركة وهو واثق من النصر .. وإلا ما دخلها .. ثم تدور الأحداث .. وتأتى نتيجة المعركة .. وفق قضاء الله جل جلاله فيها .

وبهذا يكون القرآن الكريم .. قد مزَّق حُجُب غيب المستقبل فى معركة ستقع بعد تسع سنوات .. لنعلم أن الله سبحانه وتعالى .. عنده غيب السماوات والأرض .. وأنه جل جلاله .. فعال لما يريد .

حرف السين فى القرآن

ويمضى القرآن الكريم .. فى تمزيق حجب غيب المستقبل .. إن كل آية تبدأ بحرف (السين) تعنى أن الأحداث فيها سوف تقع فى المستقبل .. فمتى قلت سأفعل .. فمعنى ذلك أنك لم تفعل بعد .. وإلا ما استخدمت حرف السين .. معناه أن الفعل سيحدث مستقبلاً .. فهو لم يحدث ماضياً ولا حاضراً .. ولكنه سيأتى فى المستقبل ..

يقول الحق - تبارك وتعالى - فى محكم كتابه فى مسألة تحويل القبلة :

﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا .. (١٤٢) ﴾ [البقرة]

وكون الحق - سبحانه وتعالى - قال : ﴿ سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ .. (١٤٢) ﴾ [البقرة] .. معنى ذلك أنه وقت نزول الآية لم يقولوا شيئاً ، ولكن الله يعلمنا أنهم سيقولون ذلك مستقبلاً .

وقد وصف الله - تبارك وتعالى - الذين سيقولون هذا الكلام بأنهم : ﴿ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ .. (١٤٢) ﴾ [البقرة]

لقد وضع الله سبحانه وتعالى - بكشفه عما سيقوله غير المؤمنين فى المستقبل - قضية من قضايا الدين ، بين يدى أعداء الدين يمكنهم بها هدم الدين ، لو أنهم

امتنعوا عن هذا القول الذى أخبر به الله .

لقد كان فى مقدور الكفار وأهل الكتاب .. ألا يقولوا شيئاً عن تحويل القبلة .. ثم يقولوا للمؤمنين : لم يقل أحد شيئاً .. القرآن قال إننا سنقول .. ولكننا لم نقل .

ولكن لأن القرآن مزَّق حجب الغيب قالوا وأتوا مثبتين لقضية الإيمان فى الوقت الذى يريدون فيه هدمها .

ثم نأتى بعد ذلك إلى الآية الكريمة التى نزلت فى مكة والمسلمون قلة ، ضعفاء لا حول لهم ولا قوة ، وإذا بالقرآن الكريم ينزل ، فيقول الله جل جلاله :

﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) ﴾ [القمر]

وعندما نزلت هذه الآية الكريمة .. قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أىُّ جمع هذا ؟ ونحن قلة مستضعفة ؟

ومرَّتْ السنوات .. وهاجر المؤمنون إلى المدينة .. ووقعت معركة بدر .. أول غزوة انهزم فيها الكفار .. وانتصر فيها المسلمون .. مع أن الكفار كانوا جمعاً كبيراً .. والمؤمنون كانوا قلة .

كان الكفار فى هذه المعركة يقاربون الألف .. والمؤمنون حوالى ثلاثمائة .. ومع ذلك انهزم الكفار وهم الجمع الكبير .. وانتصر المؤمنون وهم القلة .. وحينئذ بكى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .. وقال : صدقت يا رب ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) ﴾ [القمر]

ولكن القــرآن الكريم .. لم يمــزق حــجب الغــيب فى الأحـداث التى تقع من الله ـ سـبحـانه وتعـالى ـ وليس للإنســان اختيـار فيـها .. بل إنه إثبـاتاً لطلاقـة قدرة الله سبـحانه وتعالى .. مزق القـرآن حجب الغيب فى الأفـعال التى للإنسان فـيها اخـتيار أعطاه الله تبـارك وتعالى له .. بحيث يستطيع أن يفعل .. أو لا يفعل كما يشاء .

إن قضية الإيمان .. شـاء الله سبحانه وتعالى أن يكون الإنسان مخـتاراً فيها .. يستطيع أن يؤمن ، كـما يستطيع ألا يؤمن .. ويسـتطيع اللسـان أن يشهـد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .. ويستطيع أن ينطق كلمة الكفر والعياذ بالله . حسب اختيار صاحبه .

وفى ذلك يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ .. (٢٩) ﴾ [الكهف]

جاء القرآن الكريم فى هذه القضية الاختيارية .. ليمزق حجب الغيب .

واقرأ قول الحق جل جلاله :

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (٢) سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (٣) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (٤) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ (٥) ﴾ [المسد]

هذه السورة نزلت فى أبى لهب .. عم رسول الله ﷺ .. لتقول : إنه سيموت كافراً ويدخل النار .. ونزلت كما قلنا فى قضية اختيارية .. هى قضية الإيمان .

مـاذا كان يمكن أن يحـدث لو أن أبا لهب عندمـا نزلت هذه السـورة .. وتلاها رسـول الله ﷺ علـى المـؤمنين .. ماذا كان يمكن أن يحدث .. لو أن أبا لهب جمع القبائل .. وقال لهـم : إن محمـداً قال فى القـرآن .. يَدَّعى أنه ينزل من السمـاء .. إننى سأمـوت كافراً وسـأدخل النار .. وأنا أعلن أمـامكم إسـلامى .. وأشـهـد أن لا إله إلا الله وأن محـمـداً رسول الله .. لتـعلمـوا أن محـمداً لا يُوحَى إليـه بشـىء .. وأن هذا الكلام من عنده .. وليس من عند الله .

لو قـال أبو لهب هذا نفـاقـاً أو رياء أو كـذبـاً .. لهـدم قضية الدين من أساسها .. وبخاصة أنه من ألد أعداء هذا الدين .. ولكن رغم أن الله سـبحانه وتعـالى وضع فى يد أعدى أعداء الإسلام قضية يمكن بها أن يهدم الدين كله .. إلا أن أبا لهب لم يخطر على باله أن يفعل ذلك .

وهكذا مزق القرآن الكريم حجب غيب المستقبل .. حتى فى الأشـياء الاخـتيـارية .. وكان من المـمكن أن يهتـدى أبو لهب للإسلام .. كما اهتدى كثير من الكفار .

إن عمـر بن الخطاب رضى الله عنه هداه الله من الكفـر إلى الإيمـان .. وأبو سـفيـان .. وخـالد بن الوليـد .. وعمـرو بن العـاص .. وعكرمة بن أبى جـهل .. كل هؤلاء كانوا من أئـمة الكفر .. ولكن الله سـبحانه وتعالى هداهم للإيمـان .. وحَسُنَ إسلامهم .. وأصبحوا من الذين نصروا هذا الدين .. ونشروه فى الدنيا كلها .

وكشف حجاب المستقبل للجسد البشرى

والله سبحانه وتعالى .. مزق حجب غيب المستقبل .. بالنسبة للجسد البشرى .. فالقرآن الكريم ذكر لنا تطور الجنين فى بطن أمه .. بدقة هائلة عجز عنها العلم الحديث .. قال الله تبارك وتعالى فى كتابه العزيز :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (١٤) ﴾ [المؤمنون]

لقد حدد القرآن تفصيلاً قضية الخلق .. فذكر أولاً أنه خلق الإنسان من طين .. ومعنى ذلك أنه حدد المادة التى خُلق منها الإنسان .. وهى الطين .. والطين موجود فى كل مكان فى الأرض .. والعلماء أخذوه وحللوه .. فوجدوا أنه يتكون من ثمانية عشر عنصراً .. منها الحديد والبوتاسيوم.. والمغنسيوم والصوديوم والكالسيوم .. وغير ذلك من المواد .. ووجدوا أن جسم الإنسان يتكون من نفس العناصر التى يتكون منها الطين .. ثم راقبوا وصوروا .. بعد اكتشاف الأجهزة العلمية الحديثة .. التى تستطيع أن تصور ما فى رحم الأم .. فوجدوا أن تطور الجنين .. مطابق تماماً وبمنتهى الدقة للأطوار التى ذكرت فى القرآن الكريم .

إن الله سبحانه وتعالى كشف لنا غيباً فى مراحل الخلق داخل رحم الأم لم يكن أحد يعرفه .. ولا يستطيع أن يصل إليه وقت نزول القرآن الكريم .. لأن هذا يحتاج إلى أجهزة علمية مكبرة ودقيقة .. لم يكن العالم يعرفها منذ أربعة عشر قرناً .

كذلك من معجزات القرآن الكريم .. أن الله سبحانه وتعالى .. حين أخبرنا عن أهل الكهف .. ورقادهم الطويل فى الكهف .. قال جل جلاله :

﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ .. (١٨) ﴾ [الكهف]

ثم جاء الطب الحديث .. ليثبت أن المريض إذا أصيب بمرض أفقده قدرة الحركة .. وألزمه الفراش لفترة طويلة .. فإنه لابد أن يُقلبَ يميناً ويساراً .. حتى لا يصاب جسده بقروح .. تسبب له مشاكل صحية خطيرة .

والله سبحانه وتعالى .. أنبأنا أيضاً عن غيب الجسد البشرى .. أن الأعصاب موجودة تحت الجلد مباشرة .. وأنه إذا احترق جلد الإنسان ، فإنه لا يحس بالألم .. فقال عز وجل عن أهل النار .. وهم يُعذَّبون فيها :

﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ .. (٥٦) ﴾ [النساء]

لقد وصل العلم إلى دراسات دقيقة عن الأعصاب . وأثبت أن أطراف الإحساس .. موجودة تحت الجلد مباشرة .. فإذا احترق الجلد لا يحس الإنسان بالألم .

حديث كثير عن غيب المستقبل

على أن القـرآن الكريم تحـدَّث عن كـثـير من قـضـايا المستقبل .. لكن عندما زال عنهـا حجاب زمن المستقبل .. وأصبـحت حاضراً .. تبـين لنا دقة ما كـشف عنه القرآن الكريم من أسـرار الغـيب .. ولا زلـنا كلمـا مـر الوقت .. وكـشف الله سبـحـانه وتعـالى لنا من علمـه فى الكون .. وجدنا أن القرآن الكريم قد مزق حجـاب غيب المستقبل .. وأنبأنا بما سيحدث قـبل أن يحدث .. ذلك أن الله سبحانه وتعالى عنده غيب السماوات والأرض .

وإذا كان الله سـبحـانه وتعالى .. قـد كشف لنا حـجب الغـيب فى القـرآن الكريم .. فـذلك لنعلم أن الله سـبحـانه وتعـالى وحـده هو الذى يعلم الغـيب .. ولا أحـد غـيـره يعلمه .. ولم يصل مخلوق ولا كـتاب .. وقت نزول القرآن الكريم .. ولا بعد نزول القرآن .. إلى أسرار الكون .

بل إن العلم الحديث .. قد أثبت أنه لا يوجد أىّ تصادم بين الحقـائق العلمية وبين القرآن الكريم .. وعنـدما نقول الحقائق العلمية .. فإننا نعنى الحقيقة فعلاً .. وليس الزيف أو الظن أو التخمين .. أو غير ذلك .

إننى ما زلت أذكر أن جـامعة كاليفـورنيا فى أمريكا ..

قد أعلنت منذ سنوات أنها توصلت إلى الحلقة المفقودة بين الإنسان والقرد .. وأنها عثرت فى الحفريات على جمجمة قرد ووجه إنسان .. ثم اتضح أن نصاباً بارعاً .. قد جاء بجمجمة القرد ووجه الإنسان .. ولَحَمهُمَا بطريقة غاية فى البراعة .. لم تكشفها إلا أجهزة عالية الدقة .

متى يحدث التصادم بين القرآن والعلم؟

إن التصادم بين القرآن الكريم والعلم .. يحدث لسببين .. إما لأن الحقيقة العلمية مزيفة .. أو أن الآية القرآنية أسيء فهمها وتفسيرها ، فالله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه الكريم : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا .. (١٩)﴾ [الحجر]

ومعنى المد .. البسط .. وعندما نزلت هذه الآية الكريمة.. لم يكن هناك تصادم .. بين ما تراه العين وما ذكره القرآن الكريم .. فالإنسان يرى الأرض أمامه ممدودة أى مبسوطة .. ثم كشف الله جل جلاله لخلقه ما شاء من أسرار كونه .. وأثبت العلم أن الأرض كروية .. ثم حدث غزو الفضاء .. والتقط رواد الفضاء صوراً للأرض تبين أنها كروية .

هنا ثار بعض علماء الدين واتهموا من يقول إن الأرض كروية بالكفر .. ذلك لأنهم لم يفهموا حقيقة الآية القرآنية .. فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا .. (١٩)﴾ [الحجر] .. أى : بسطناها .. ولكنه لم يَقُلْ أى أرض .

ولذلك عندما تذهب إلى أى مكان فى الأرض .. تجدها مبسوطة أمامك .. ولا يمكن أن يحدث هذا إلا إذا كانت الأرض كروية .. بل إنها لو كانت مسدسة أو مربعة

أو مُـثلَّثـة .. أو على أى شكل آخـر .. لوصلت فيـهـا إلى حافة .. لا تجد بعدها أمامك أرضاً ممدودة .

ولكن الشكل الوحـيـد .. الذى إذا وصلت فـيـه إلى أى بقـعة من الأرض .. ووجـدتهـا أمـامك ممـدودة .. هو أن تكون الأرض على هيئـة كرة .. وأنت إن أخذت الطائرة .. من أى بقـعــة من بقـاع الأرض .. وطرْتَ بهــا فى خط مـسـتقـيم فـإنك سـتـعود إلى الـمكانَ الذى بدأت منه .. ولا يمكن أن يحدث ذلك .. إلا إذا كانت الأرض كروية ..

وكل البـاحثين .. حـتى فى دول الغرب .. التـى تحاول أن تشكك فى القـرآن الكريـم .. وتنفق مـبالــغ هائلة على ذلك .. لم يسـتـطع باحث واحد أن يثبت أن هـناك تضارباً بين قـوانين الكون والقـرآن الكريم .. بينمـا هناك أبحـاث كـثـيـرة تثـبت أن هنـاك تضـارباً بين الـكتب التى نزلت قـبـل القـرآن .. وبين حـقـائق الكون ..ذلك لأن أهل هذه الكتب حـرفوها .. وجاءوا بكلام من عنـدهم .. وادعوا أنه كلام الله !!

ماذا عن المغيبات الخمس ؟

لقد حدث - فى الفترة الأخيرة - جدال كثير حول المغيبات الخمس .. والتى اختص الله سبحانه وتعالى بها نفسه .. ولم يُطْلعْ عليها أحداً من خلقه .. وهى التى وردت فى القرآن الكريم .. فى قول الله تبارك وتعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) ﴾ [لقمان]

لقد قالوا : إن هذه المغيبات قد انكشف بعضها .. وادعوا أن الإنسان يستطيع الآن أن يُنْزِلَ الغيث .. وأنه بالكشف الطبى يستطيع العلم الآن أنْ يحدد نوع المولود .. أهو ذكر أم أنثى .. بعد أن تحمل به أمه .. وأن هناك نبوءات عن يوم القيامة .. وهى أن القيامة ستقوم عام ٢٠٠٠ أو بعد ذلك بسنوات قليلة !!

وادعوا أن الطب بعد أن تقدم يستطيع أن يحدد لنا فترة الحياة الباقية فى عمر الإنسان .. بل إنهم ادعوا أن الطب الحديث قد استطاع أن يطيل عمر البشر فى الدول المتقدمة بفضل الرعاية الصحية حيث زاد فيها متوسط عمر الإنسان عن الدول المتخلفة ..

وقالوا أيضاً : إنهم يستطيعون الآن .. باستخدام

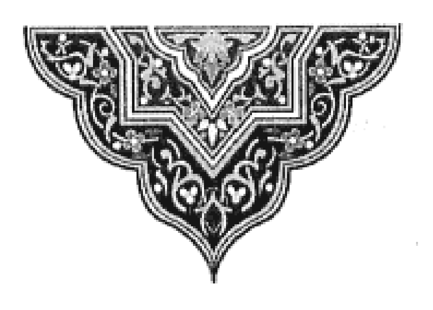
الكومـبيـوتر .. أن يحددوا عـادات الشراء عند الإنســان .. وبذلك فإنهم يستطيعـون تحديد متوسط دخل أو رزق أى مـحل من المـحـلات التـجـارية .. بعـرض الـسلع بشكل معين .. يتوافق مع عادات الشراء .

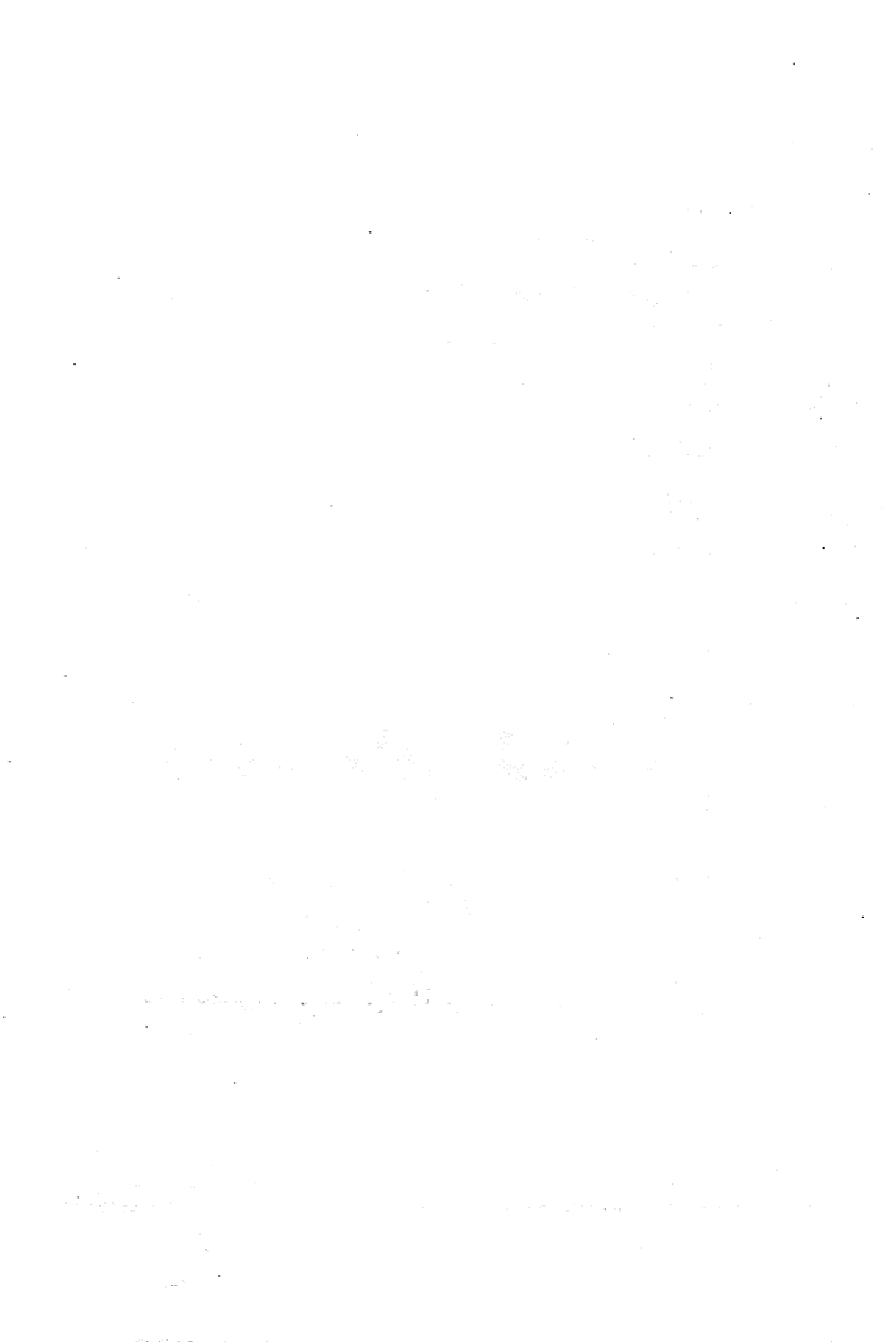
وقالوا كلاماً كثيراً غير ذلك .. ولكن كل هذا الكلام غير صحيح .. ومليء بالـخداع .. وفيه عدم فـهم لمعانى آيات القرآن الكريم .



الفصل الرابع

وعنده علم الساعة





المغيبات الخمسة ، هى الأمور التى اختص الله سبحانه وتعالى بها نفسه .. وجعلها فى علمه .. لا يطلع عليها أحد .

فى هذه الأيام بدأ عدد من الجهلاء .. يحاولون أن يوهموا الناس بأن هذه المغيبات قد انكشفت .. أو أن بعضها على الأقل قد انكشف .. ومن أول الأشياء التى تحدثوا عن انكشافها موعد القيامة أو يوم القيامة .

لقد حاول بعض العرافين فى أمريكا والهند .. أن يحددوا موعد يوم القيامة .. ففى أمريكا ومنذ عدة سنوات .. تنبأ بعض المنجمين بموعد القيامة وحدَّدُوه .. وصدَّقهم كثير من الناس .. وفى اليوم الذى حددوه ليوم القيامة .. خرج كثير من الناس من منازلهم .. وصعدوا إلى الجبال ، كأن الجبال ستحميهم من قضاء الله وقدره .. مع أن الجبال ستنسف عندما تأتى الساعة !!

إن هذا التصرف بالنسبة لغير المؤمنين لم يتغير منذ بدء الخليقة .. لأنه باطل .. والباطل أساليبه محدودة .. لأنه فكر بشرى .

هؤلاء الذين صعدوا إلى قمم الجبال .. فعلوا كما فعل

ابن نوح عليه السلام عندما جاء الطوفان .. صعد إلى قمة جبل ليحميه .. وعندما طلب منه نوح أن يركب معه فى السفينة - باعتبارها السبيل الوحيد للنجاة من الطوفان - قال : إنه سيحتمى بالجبل .. كما أخبرنا الله سبحانه وتعالى فى قوله جل جلاله :

﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ (٤٢) قَالَ سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٤٣) ﴾ [هود]

وهكذا نرى منطق الكفر ومنطق الإيمان .. الكافر يحسب أن هناك من يستطيع أن ينجيه من قَدَرِ الله .. والمؤمن يعرف يقيناً أنه لا نجاة من قَدَرِ الله .

هؤلاء الذين صدَّقوا المنجمين الأمريكيين عن موعد يوم القيامة .. تصرفوا نفس تصرف الكفار فى عهد نوح .. حينما حسبوا أن الجبال ستحميهم من قَدَرِ الله .. ويأتى المنطق الإيمانى من نوح عليه السلام كما يروى لنا القرآن الكريم فى قوله تعالى :

﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ .. (٤٣) ﴾ [هود]

وكـذب العرافـون

وفى الهند تنبـأ العـرافون .. عـشرات المـرات بموعـد القيامـة .. ولم تتحقق أية نبوءة منهـا .. ولكن الجديد فى هذه الأيام .. أن بعض الناس قد استـخدموا القرآن الكريم فى التنبؤ بموعد يوم القيامة !! وأعطى بعضـهم أرقاماً من عنده لفواتح السور .. وقـال : إن القيامة ستـقوم فى عام ٢٠٠٠ ، وبعـضـهم قال فـى عام ٢١١٣ .. وغيـر ذلك من الخرافات التى نقرأها .. والتى لا تمثل إلا أكاذيب .

وفى هذا يقول الله سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (٣٤) ﴾ [لقمان]

هذه هى المـغيبـات الخمـسة .. التى اخـتص الله تبارك وتعالى بها نفـسه .. والتى سنتناولها بالتـفصيـل فى هذا الفصل .. والفصل القـادم من هذا الكتـاب إن شـاء الله ..

إن السـؤال عن مـوعد السـاعـة ليس جـديداً .. بل هو مطروح من قديم الأزل .. وقد سُئل الأنبياء عن موعد قيام الساعة .. والناس لا زالت تتـسـاءل إلى يومنا هذا عن هذا الموعد .. مع أن الإنسان تنتهى علاقته بالدنيا فى سنوات

قليلة .. ورسـول الله ﷺ يقول فى حديـث شريف : « من مات فـقد قـامت قيـامتـه » .. وذلك أنه يرى الجنة والنار والملائكة .. ويصبح الغيـب عنده مشاهداً .. ولكن السؤال لا يتوقف ..

يقول الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم :

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ (١٨٧) ﴾ [الأعراف]

وقـوله سبـحانه وتعـالى « يســألونك » .. الخطاب هنا لرسـول الله ﷺ .. ولكن من الســائل ؟ هل هم الكفـار ؟ طبعاً لا .. لأن هؤلاء لا يؤمنون بالسـاعة ، فكيف يسألون عنهـا ؟ إذن : فلا بُدَّ أن يكون الســائل من الذين يؤمنون بالساعة .. والذين سألوا هم اليـهود .. لأنه فى كتابهم أن الله جل جـلاله وحده .. هو الذى يعـلم موعـد السـاعـة .. ولا يعلمها غيره .

لقـد أرادوا بهذا السـؤال .. امتـحان رسـول الله ﷺ .. وحـسبـوا أنه سيـعطيهـم إجابة .. ويقـول لهم إن موعـد الساعة هو كذا .. فيتخذون من هذه الإجابة وسيلة للطعن

فى الإسلام .. لأن الذى يأتى بمنهج دنيوى .. يحاول أن يُوهم الناس بأنه يعلم كل شىء .. ليجذبهم إلى منهجه .. ولكن الذى يُبلِّغ منهج السماء .. لا يضيره ألا يعلم أشياء .. لأنه فى هذا يكون شاهداً على أن الكمال فى العلم هو لله وحده .

الساعة واليهود

لقد سأل اليهود رسول الله ﷺ عن الروح ، وعن ذى القرنين .. وكان الجواب منه ﷺ مطابقاً لما عندهم فى التوراة .. إلا فى نقطة واحدة هى قصة أهل الكهف .. فى قوله تعالى :

﴿ وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) ﴾ [الكهف]

فقال اليهود : نحن نعرف الثلاثة مائة سنين .. ولكن التسع الزيادة لا نعرف عنها شيئاً .. وكانت التسع الزيادة .. لأن الله تبارك وتعالى .. يؤرخ لكونه بالحساب القمرى .. وهو أدق الحسابات .. وأن الله سبحانه قد شاء للحساب القمرى أن يولد .. ويكون هو حساب أمة محمد عليه الصلاة والسلام .. والسنة القمرية تقل عن السنة الشمسية بأحد عشر يوماً وثلث يوم .. والثلاث مائة سنة شمسية .. تساوى ثلاث مائة وتسع سنوات قمرية .

السؤال هنا عن الساعة .. ومتى تقع ؟ .. والجواب : أن الساعة علمها عند الله .. وأنه : ﴿ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ (١٨٧) ﴾ [الأعراف] .. فالجلوة أن يظهر الشىء للناس .. والله سبحانه وتعالى لا يُظهر الساعة إلا لوقتها .. أى : ساعة حدوثها .. ومعنى (ثَقُلَتْ) . أن تكون الكتلة المحمولة أكبر من الطاقة التى تحملها .. لأن الكتلة أو الوزن .. إذا

كان أقل من الطاقة .. لا يكون الشىء ثقيلاً .

إنك إذا حملت شيئاً وزنه كيلو أو (اثنين كيلو) .. لا يكون هذا ثقيلاً .. لأن قوة ذراعك أكبر كثيراً من الثقل الذى تحمله .. ولكن إذا حاولت أن تحمل مائة كيلو مثلاً .. حينئذ يكون الشىء ثقيلاً .. لا تستطيع أن تحمله .

ولكن الثقل هنا شىء مادى .. فكيف يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ثَقُلَتْ فِي السَّمَٰوَاتِ (١٨٧)﴾ [الأعراف] وكيف يكون الثقل فى السموات ثقلاً مادياً ؟.

نقول : إن الثقل يكون مادياً وفكرياً وعقلياً .. تماماً كما تعطى طالب السنة الأولى فى كلية الهندسة .. تمريناً مقرراً على طالب السنة النهائية .. إنه لا يستطيع حله .. ويقول : إن هذا التمرين ثقيل علىَّ .. أى : لا يستطيع عقله أن يتحمله .. وكذلك يكون شيئاً ثقيلاً على النفس .. عندما تجلس مع إنسان تكرهه يضيق صدرك .. وتقول : إن هذه كانت زيارة ثقيلة .. أى : على نفسك .. وهذا أقسى أنواع الثقل .

ثقلت فى السموات

الحق سبحانه وتعالى يقول : ﴿ ثَقُلَتْ فِي السَّمَٰوَاتِ ﴾ (١٨٧) [الأعراف] .. والسماوات فيها الملائكة .. والملائكة لا يعرفون موعد الساعة .. ومن الملائكة من هم مُسخَّرون لخدمة البشر .. الله سبحانه وتعالى جعلهم يسجدون لآدم .. وسخرهم لخدمة البشر .

هؤلاء الملائكة يفرحون بالعبد الطائع .. ويضيقون بالعبد العاصى .. وهم يستعجلون الساعة .. حتى يروا الجزاء للمطيع ، والعقاب للعاصى .. فالساعة ثقيلة على صدورهم .. لأنهم يرون العاصى محاطاً بنعم الله .. بينما يزداد عصياناً له سبحانه وتعالى .. فيملأ صدورهم الغيظ .. ويتمنون سرعة العذاب له على عصيانه .. ويرون ابتلاءات المؤمن فى الدنيا .. فيتمنون سرعة قيام الساعة لينال المؤمن الثواب على طاعته .

إذن : فالساعة ثقيلة فى الأرض .. لأن أحداثها هائلة .. ولأن كل مَنْ يؤمن بها يخشاها .. ثقيلة فى السماء .. لأن الغيظ يملأ نفوس الملائكة وهم يستعجلون وقوعها ..

والساعة لا تأتى إلا فجأة .. ورسول الله ﷺ يقول : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون ، فذلك حين لا ينفع نفساً

إيمانها لم تكُنْ آمنت من قبل ، أو كسبت فى إيمانها خيراً ، ولتقومن الساعة ، وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه ، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقْحته (ناقته) فلا يطعمه ، ولتقومن الساعة وهو يليطُ[١] حوضه ، فلا يسقى منه ، ولتقومن الساعة والرجل قد رفع أكلته إلى فيه - فمه - لا يطعمها » .

إن الساعة ستأتى بلا مقدمات .. فلا يستطيع أن يتنبأ بها أحد .. حتى قبل حدوثها بدقائق .. ويفاجأ بها الناس جميعاً .

والله جل جلاله يقول لرسوله : ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا (١٨٧)﴾ [الأعراف] .. والحفىُّ هو المُلِحُّ فى طلب الشىء.. وهم يحسبون أن رسول الله ﷺ يُلِحُّ على ربه .. ويسأله دائماً عن موعد الساعة ..

(١) يَليطُ حوضه : يكسوه بالْجَصِّ حتى لا يتسرب منه الماء .

نافخ الصور والساعة

إن الله سبحانه وتعالى .. قد أخفى موعد الساعة عن كل خَلْقه حتى الملائكة المقربون .. وقد قال رسول الله ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى .. لما فرغ من خلق السماوات والأرض .. خلق الصُّورَ فأعطاه إسرافيل .. فهو واضعه على فمه .. شاخص ببصره إلى العرش .. ينتظر متى يُؤْمر بالنفخ فى الصور » .

ويقول الله ـ سبحانه وتعالى ـ فى كتابه العزيز عن القيامة :

﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ (٦٨) ﴾ [الزمر]

وهكذا نعرف أنه حتى إسرافيل .. الملك المكلَّف بالنفخ فى الصُّور .. إيذاناً ببدء القيامة لا يعرف موعدها .. وأنه منذ كُلِّف بهذه المهمة .. وهو واقف وبصره شاخص إلى العرش .. ينتظر الأمر من الله سبحانه وتعالى .. لينفخ فى الصور .. إذا كان هذا هو حال إسرافيل ، فكيف يأتى مُنجِّم أو دجال .. أو مفسر للقرآن بالباطل .. ليقول : إن الساعة ستقوم فى يوم كذا أو فى عام كذا !! طبعاً كلها أكاذيب ..

علامات اقتراب الساعة

إن إخفاء الله تبارك وتعالى لموعد الساعة .. لا يعنى أنه جل جلاله .. قد أخفى موعد اقتراب الساعة .. ولذلك يقول جل جلاله فى القرآن الكريم :

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ (١٥)﴾ [طه]

وقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿أَكَادُ أُخْفِيهَا .. (١٥)﴾ [طه] معناه أنه لا يخفى كل شىء عنها .. ولكن الإخفاء فى الموعد فقط .. ولكن اقتراب الساعة وعلاماتها الكبرى والصغرى .. أُنبىء بها رسول الله ﷺ .

وأنبأنا رسول الله عليه الصلاة والسلام باقتراب الساعة .. فقال ﷺ : « بُعِثْتُ أنا والساعة كهاتين » .

وأشار بالوسطى والسبابة .. مما يشير إلى قرب موعد الساعة .. لما تحققت كل العلامات الصغرى للقيامة التى أنبأنا بها رسول الله ﷺ .

يقول الله فى كتابه العزيز :

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ (١)﴾ [القمر]

وسواء كانت هذه الآية الكريمة .. تعنى انشقاق القمر فى عهد رسول الله ﷺ .. حين طلب منه الكفار أن يسأل الله جل جلاله أن يشق لهم القمر حتى يؤمنوا .. فلما حدثت المعجزة .. وشقَّ الله لهم القمر فعلاً لم يؤمنوا ..

أو أن القمر .. سينشق عند اقتراب الساعة .. فمعنى ذلك أن القيامة قد اقتربت .. والله تبارك وتعالى يقول فى القرآن الكريم :

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) ﴾ [الأنبياء]

معنى هذا أن الساعة قد اقترب موعدها ـ وليس معنى اقترابها أن موعدها غداً أو بعد أيام .. ولكن معناه أن موعدها قد اقترب .. لأن علاماتها الصغرى تحققت .. ولكننا لابد أن نعي الآية الكريمة التى تقول :

﴿ تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) ﴾ [المعارج]

إن هذه الآية الكريمة تعلمنا أن هذا اليوم عند الله سبحانه وتعالى .. ليس كاليوم عندنا .. وأننا قد نرى أشياء بعيدة .. لا زال على حدوثها وقت طويل .. ولكنها عند الله قريبة ..

واقرأ قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا (٦) وَنَرَاهُ قَرِيبًا (٧) يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) ﴾ [المعارج]

عند هذه النقطة نكون قد وصلنا إلى أول المغيبات الخمسة وهى الساعة ، ونكون قد بيَّنا أن موعد قيام الساعة لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .. فإذا جاء أحد من البشر بعد ذلك وادعى أن عنده علم الساعة فهو كاذب .

إنــزال المطــر

ثم نأتي بعد ذلك إلـى ثانى المغيـبات الخمـسة .. وهو قوله سبحانه وتعالى :

﴿ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ .. (٣٤) ﴾ [لقمان]

وهذه القـضيـة قـد أخذت جـدلاً كبيـراً .. فى الفتـرة الأخيرة .. فـقد ادعى بعض العلماء أنهم يستـطيعون إنزال المطر .. ذلك لأنهم اكتـشفوا أن السحـاب مؤلف من ذكر وأنثى .. وأنهما عندما يلتقيـان ينزل المطر .. لقد اكتشفوا مواد كيماوية .. إذا لقح بها السحاب أمطر .

وهذا افتراء على الله سبحانه وتعالى .. لأن المطر الذى ينزل من السماء هو عملية كبيرة جداً .. لا يستطيع البشر أن يقوم بهـا مهمـا بلغ علمه .. بل لو اجـتمعت البـشرية كلها على أن تنزل مطراً فى مكان ما .. أو تمنع المطر من النزول فى مكان ما ، فهى لا تستطيع ولن تستطيع .

وعـمليـة المطر لا تبـدأ بـالسـحـاب .. بل هى تنتـهى بالسحاب .. ذلك أن عـملية المطر عملية كبيـرة جداً ـ كما قلت ـ تتم دون أن يكون لـلإنسان دَخْل فـيـهـا أو يُحِسُّ بها .. فبواسطة أشعة الشمس يتم التبخر من مياه البحر .

والله سبحانه وتعالى جـعل أربعة أخماس الأرض .. من البـحار .. والخُمْس الأخـير من اليـابسـة .. لتـتم عملية

المطر .. وأنه كلما اتسعت مساحة الماء .. كان البَخْر أسرع وأسهل .. وكلما قَلَّتْ المساحة .. كان البخر أقل .. فلو ألقينا كوب ماء على أرض الحجرة لجفَّ بعد فترة قصيرة .. ولكن لو تركنا الماء فى الكوب عدة أيام .. فإنه لا ينقص إلا بكمية صغيرة .. لأن ضيق مساحة السطح .. جعل البخر بطيئاً جداً .

يقول الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ (٤٣)﴾ [النور]

فى هذه الآية الكريمة .. يكشف الله جل جلاله لنا بعض أسرار عملية المطر .. فالبخر الذى يتم من البحار بأشعة الشمس يتصاعد إلى السماء .. فيتكون منه السحاب بإذن الله .. وتكون هناك السحب الركامية المحملة بالماء الغزير .. وعندما تصطدم ببعضها البعض يحدث البرق .. وعندما تصطدم بالجبال ينزل المطر .

وهكذا ، فإن سلاسل الجبال فى العالم هى التى تنزل عليها الأمطار الغزيرة ..

يقول الحق سبحانه وتعالى : ﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ

﴿ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ .. (٤٣) ﴾ [النور] أى : أنه جل جلاله ربط عملية المطر بمشيئته .. ونحن نقول لكل من يدعى أن البشر يستطيع إنزال المطر .. نقول لهم : إن الله سبحانه وتعالى .. قد خلق فى كونه صحارى كثيرة فإذا كنتم تستطيعون إنزال المطر حقاً .. فاجعلوا هذه الصحارى مناطق ممطرة .. أى : خذوا المطر إليها فينزل عليها .. وتصبح ودياناً خضراء فيها زرع وحياة ..

إن البشرية كلها لا تستطيع بكل ما أوتيت من علم .. أن تفعل ذلك .. ونقول لهم أيضاً : إن الله سبحانه وتعالى قد ملأ الأرض بالأنهار .. ويجعل مياهها مستمرة .. مطر غزير يسقط كل عام .. نقول لهم : إذا كنتم تستطيعون فعلاً إنزال المطر .. فاصنعوا لنا نهراً صغيراً وسط الصحراء .. لا نقول نهراً كبيراً كالأنهار التى خلقها الله سبحانه وتعالى .. ولا نقول عدة أنهار .. بل نقول نهراً صغيراً .. إثباتاً لقدرتكم .. ولكنهم لا يستطيعون ..

إن الله سبحانه وتعالى شاءت طلاقة قدرته .. أن تأتى سنوات جفاف فى المناطق غزيرة المطر .. لنعرف أن سقوط المطر لا يحدث بالأسباب الأرضية التى يعرفونها .. ولكن بقدرة المسبِّب سبحانه وتعالى .

نقول لهم أيضاً : إذا كنتم تستطيعون إنزال المطر ..

فامنعوا مواسم الجفاف عن المناطق الممطرة .. ولكنهم لا يستطيعون ذلك .. بل إننا نرى الكوارث فى مناطق الجفاف .. وما يصيب الزرع والحيوان والإنسان .. فيموت الزرع وتَنْفَق الماشية .. ويعانى الناس من العطش .. ولا تستطيع قوة بشرية أن تنهى موسم الجفاف هذا .. وتجعل المطر ينزل .

لقد حدث منذ فترة قصيرة .. موسم جفاف فى الولايات المتحدة التى تملك قمة التكنولوجيا فى العالم الحديث .. ولم تستطع قوة بشرية أن تأتى بنقطة مياه واحدة ، بل إن الأمطار الغزيرة .. تصيب مناطق فى العالم فتغرقها .. ولا يستطيع أحد أن يأخذ السحاب من هذه المناطق إلى مناطق أخرى تعانى من الجفاف .

وهكذا نرى عجز الإنسان أمام قدرة الله سبحانه وتعالى عن إنزال المطر ، بل إن البشرية كلها لا تستطيع أن تدفع سحابة من مكان إلى مكان آخر لتمطر .. أو أن تأخذ سحابة من مكان أغرقته الأمطار الغزيرة إلى مكان ليس فيه أمطار ..

البشرية كلها عاجزة

إن البشـرية كلها .. لا تستطيع أن تـتحكم فى الرياح ، ولكن الله يجـريها إلـى حيث يشـاء .. فـالسحـاب ليس له حـركة ذاتيـة ، وإنما تدفـعه الرياح من مكان إلى آخـر .. والرياح لا تخضع لإرادة بشر .. لا فى حركتها .. ولا فى قوتها .. ولا فى اتجاهاتها ..

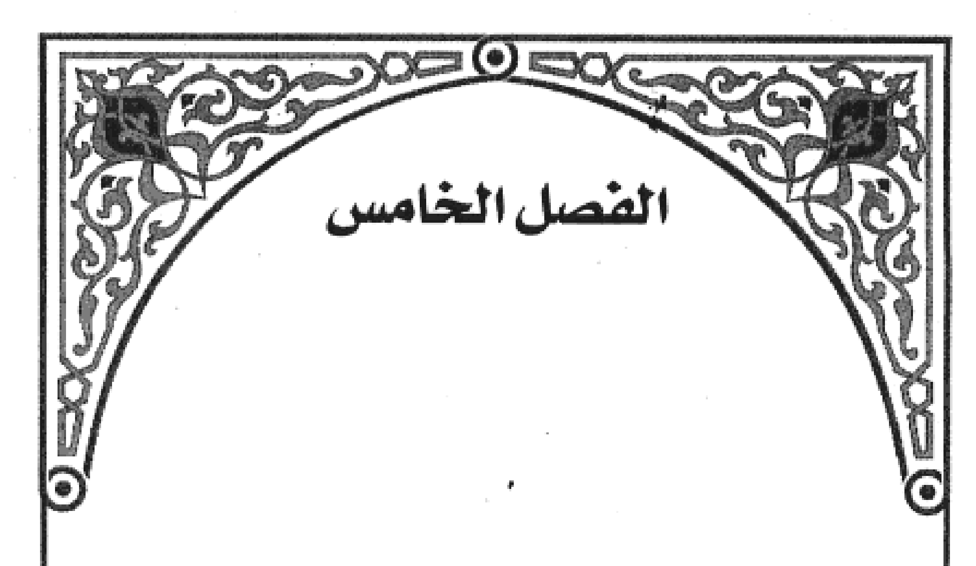
مَنْ ذا الذى يسـتطيع أن يدعـى أن إحدى الـمغـيبـات الخـمسـة قـد انكشفت .. وأن الإنسـان يسـتطيع أن يُنزل المطر .. إن هذا ادعـاء كاذب .. وافتـراء على الله سبـحانه وتعالى ..

إن عـمليـة إنزال المطر .. عـمليـة كـونيـة هائلة .. تتم بإرادة الله وحدها وليس للإنسان عمل فيها .. فلا الإنسان يستطيع أن يتحكم فى عمليـة البخر التى تتم من البحار ، ولا فى أشعة الشمس التى تُحْدثُ البخر ، ولا فى البخار الذى يَصْعَدَ إلى السماء ، ثم يتكَثف فتتكوّن منه السُّحُب ، ولا فى الرياح التى تحـملها إلى أمـاكن معيـنة .. شاء الله سبحانه وتعالى أن تحملها إليها ..

لكن إذا كانت هناك عملية كيـماوية .. يتم على أساسها تلقـيح السحـابة ليمطر .. فـهذه عملـية ثانوية جـداً .. قد تنجح وقـد تفشل .. فـإذا كان ادعـاء العلمـاء حقـيقـة ..

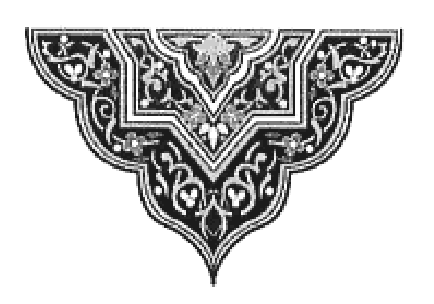
ليرونا كيف يتحكمون فى حركة البخر من البحار .. أو فى حركة تكوين السحاب ، أو فى تحركه حول الكرة الأرضية .. إن الذى يُنزِل الغيث .. هو الله سبحانه .. وسيظل هذا حقيقة إلى يوم القيامة ..

وبهذا نكون قد أثبتنا أن موعد الساعة لا يعلمه إلا الله وحده .. وهذا العلم ممتنع حتى عن أقرب الملائكة إلى الله .. حتى ذلك الملَك المكلّف بالنفخ فى الصُّور .. وأن عملية إنزال المطر تخضع خضوعاً تاماً لمشيئة الله سبحانه وتعالى وحدها ، ولا أحد يستطيع أن يُنزِل الغيث إلا الله ..



الفصل الخامس

ويعلم ما فى الأرحام



بقى أن نتحدث بعد ذلك عن
قول الله سبحانه وتعالى :
﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ .. (٣٤) ﴾ [لقمان]
لنثبت أن هذا من علم الله وحده وبقدرته سبحانه وتعالى ..

كَثُر الحديث في هذه الأيام عن قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ.. (٣٤) ﴾ [لقمان] .. قال بعض الناس : إن العلم الحديث قد كشف ما فى الأرحام .. لأن الأشعة تستطيع الآن أن تكشف ما فى بطن المرأة .. وهى حامل قبل أن تلد .. وتحدد نوع الجنين إن كان ذكراً أو أنثى !

والعجيب أن كثيراً من المسلمين .. قد صدَّقوا هذا الكلام .. الذى يراد به تشكيكهم فى دينهم .. وأنهم بدأوا يرددونه ، مُدَّعين أن العلم قد كشف فعلاً ما فى الأرحام !!

نقول : إن الله سبحانه وتعالى - وفى علمه أن هذا سيحدث - قد أعطانا فى القرآن الكريم لمحة لعدد من معانى كلمة : ﴿ مَا فِي الأَرْحَامِ.. (٣٤) ﴾ [لقمان] .

ولنقرأ ما جاء فى سورة آل عمران .. يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨) ﴾ [آل عمران]

زكريا نبى الله عليه السلام .. لم يُرزق ذرية .. وتقدمت به السن .. وخاف على رسالته ومنهجه من بعده .. فدعا الله تبارك وتعالى أن يهبه ولداً .. وكان هذا الدعاء فى محراب مريم عليها السلام .. حينما وجد زكريا عندها فاكهة الشتاء فى الصيف .. وفاكهة الصيف فى الشتاء .

إن زكريا عليه السلام وجد طلاقة قدرة الله فى رزقه .. فطلب أن يهبه الله ولداً .. وبمجرد الدعاء .. أنزل الله ملائكته .. فبشَّرت زكريا بأن الله استجاب له .. مصداقاً لقوله تبارك وتعالى : ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ .. (٣٩)﴾ [آل عمران]

ويجب أن نتوقف هنا لنسأل : أكان دعاء زكريا وامرأته حامل فى شهورها الأولى ؟ الجواب : طبعاً لا .. لقد كان الدعاء قبل أن تحمل زوجة زكريا .. كان هذا أحد معانى كلمة « ما » التى وردت فى قوله تعالى : ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ.. (٣٤)﴾ [لقمان]

إذن : العلم هنا كان قبل أن يتم الحمل .. وليس بعد أن تم .. ونحن نريد من الذين يقولون .. إن العلم قد وصل إلى كذا وكذا .. أن يأتوا لنا بأكبر أطباء العالم .. ليقول لنا قبل أن يتم الحمل .. هذه المرأة ستحمل وستلد مولوداً ذكراً أو أنثى .

الله أخبر زكريا

ثم نمضى مع الآيات الكريمة :

﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ (٣٩)﴾ [آل عمران]

الحق سبحانه وتعالى ـ وقبل أن تحمل زوجة زكريا فى ابنها يحيى ـ أنبأ زكريا .. أن امرأته ستحمل .. وستضع ولداً وسيكون سيداً ونبياً وصالحاً .. وسيموت شهيداً .. لأن الله سبحانه وتعالى .. ما دام قد أسماه يحيى .. فإن حياته تكون بلا موت .. فكانت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يموت شهيداً .. لأن الشهداء حياتهم متصلة .. مصداقاً لقول الله سبحانه وتعالى :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩)﴾ [آل عمران]

ونحن نخاطب الذين يقولون إن أحد المغيبات الخمسة قد انكشف .. وليأتوا لنا بأكبر علماء الدنيا .. هل فى استطاعتهم أن يقولوا لنا قبل أن تحمل المرأة .. أنها ستحمل .. وستلد مولوداً ذكراً .. وأن هذا المولود سيكون مهندساً .. أو طبيباً أو أى عمل آخر .. وأن يحددوا لنا كيف سيموت ومتى ؟

إن المعجزة تزداد كلما قرأنا الآيات الكريمة .. واقرأ

قول الله سبحانه وتعالى .. حين تذكَّر زكريا أن الأسباب لا تعطيه :

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (٤٠)﴾ [آل عمران]

زكريا هنا شيخ كبير وامرأته عاقر .. وهكذا نرى أن الأسباب منعدمة .. ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى .. رغم انعدام الأسباب .. أخبر أن امرأته ستحمل .. وستلد ويكون المولود ولداً .. ثم أخبره حياة الابن ومماته .

ومرة أخرى نحن نتحدى أكبر أساتذة العالم .. بأن نأتي له برجل عجوز .. وامرأة عجوز وعاقر .. ثم يكشف لنا بعلمه كل هذه الحقائق كما حدث بالنسبة لزكريا .

معنى ما فى الأرحام

إذن : فمعنى ما فى الأرحام .. ليس المقصود منه : هل المولود ذكر أم أنثى ؟ بل معناه أوسع من ذلك بكثير .. لأن الله يعلم من هو أبو المولود .. ومن هى أمه .. قبل أن يتزوجا .

وفى ذلك يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٥٠) ﴾ [الشورى]

إن معنى كلمة « ما فى الأرحام » واسع جداً .. فكلمة « ما » هنا تعنى حياة المولود من لحظة ولادته إلى لحظة وفاته .. هل هو شقى أم سعيد ؟ طويل أم قصير ؟ ما هو لونه ؟ هل هو صحيح أو مريض ؟ ما هى الأمراض التى ستصيبه ؟ ما هو عمره ؟ وماذا سيفعل ؟ ما هى الأحداث التى ستقع له ؟ والتى ستقع عليه ؟ والتى ستقع منه ؟ ماذا سيعمل ؟ وأى مهنة سيحترفها ؟ وأى البلاد سيسافر إليها ؟ ومن سيتزوج ؟ وما هو رزقه ؟ وهل سيرزق بأولاد أم لا ؟

إننا نستطيع أن نمضى فى هذه الأسئلة بلا نهاية .. إن كلمة « ما » .. تعنى شريط حياة ذلك الذى لم يُخلَق

بَعْد فى رحم أمه ، فأين هذا كله من نوع الجنين .. أذكراً كان أم أنثى ؟

إن هناك نقطة هامة هى .. أن العلم قد توصل إلى نوع المولود .. بعد أن خرج من علم الله إلى العلم الدنيوى بكلمة « كن » .. أى بعد أن بدأ خَلْقَه وتكوينه .. وأصبح له كيان مادى .. ولكن هل يستطيع العلم أن يقول لنا قبل أن تحمل الأم أى شىء عن الجنين قبل أن يبدأ تخلُّق الجنين فى رحم أمه ؟

العلم عاجز تماماً .. عن أن يخبرنا أى شىء .. فأين علم الإنسان من علم الله سبحانه وتعالى ؟

والذين يُروِّجون - فيما يقال - من أن أحد المغيبات الخمس قد انكشف .. أفلا يتدبرون القرآن ؟ إن الله وحده هو الذى يعلم ما فى الأرحام .. ويعلمه منذ الأزل .. ويعلم ما ستضع كل أنثى .. من لحظة خَلْق آدم إلى يوم القيامة .. بل يعلمه جل جلاله .. قبل خَلْق آدم وحواء .

الرزق بيد الله وحده

ننتقل بعد ذلك إلى قوله تعالى : ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا .. ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان] .. إن الرزق بيد الله وحده .. رغم كل ما يقال .. ورسول الله ﷺ يقول : « إن الرزق ليطلب العبد كما يطلبه أجله » .. والرزق يعرف مكانك .. ولكنك لا تعرف مكانه .. وقد تطرق عشرات الأبواب .. بحثاً عن الرزق ولا يأتيك منه شىء .. ولكن الرزق يعرف أين أنت فيأتيك حيث كنت ..

بعض الناس يقولون : إن الرزق بالأسباب وبالسعى .. ونقول : إن الأسباب هى قوانين الله فى كونه .. والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران]

إن بعض المستشرقين يقول : إن هذه الآية الكريمة هى سبب تأخر المسلمين .. ونقول لهم : فسِّروا لنا كيف أن هناك دولة تكون غاية فى الفقر .. ثم فجأة اكتشفوا أنها تعوم على بحيرة من البترول .. فتصبح بين يوم وليلة أغنى دولة فى العالم .

ما هى الأسباب التى أخذت بها هذه الدولة لتتحول خلال أيام من أفقر دولة فى العالم إلى أغنى دولة فى العالم ؟! اذكروا لنا الأسباب .. ثم اذكروا لنا فى شأن الرزق ، كيف

أن الله سبحانه وتعالى أعطى بعض دول الأرض بترولاً ومناجم للماس والذهب .. وغير ذلك من المعادن الثمينة جعلتها من أغنى الدول .. ولم يعط دولاً أخرى هذه الثروات وبقيت فقيرة .

ما هى الأسباب التى أخذت بها تلك الدول .. التى عندها هذه الثروات الهائلة فى باطن الأرض .. والأسباب التى تركتها تلك الدول التى لا يوجد فى أرضها شيء ؟.. إنكم لن تجدوا جواباً إلا الآية الكريمة :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران]

إن الرزق الذى يجرى فى العالم .. له أسرار غريبة لا نعرفها نحن .. وأقدار الله تؤدى دورها الذى لا نحس به .. فتنخفض أسعار ويفلس عدد من الناس ممن كانوا فى غنى فاحش .. وتعلو أسعار فيصبح الفقراء أغنياء ، وتتغير أنماط المجتمع فيعلو الحفاة العراة فى البنيان ، ويصبحون هم الذين يملكون البنايات الشاهقة .. والأرصدة الكبيرة من المال .

هذا كله يحدث أمامنا كل يوم ، بل إننى أتذكر رجلاً من كبار أصحاب المال .. حدث انهيار فى بورصة نيويورك فأفلس .. فحمل مسدسه وقتل السمسار الذى كان موكلاً بشئون أسهمه .. ثم انتحر !!

الرزق .. والحسابات

إن الناس كلهـا تبحث عن الغنى .. وعن المـال .. ولكن منهم مَنْ يـنجح ، ومنهم مَنْ لا ينـجح ؟! أقـدار رزق الله تتحكم فينا ونحن لا ندرى .

وإذا كانوا يقـولون إنه عن طريق الحسابات الدقيـقة .. يمكن تحديد نجاح الأعمال أو عـدم نجاحها .. نقول لهم : إن الانهيارات التى تحدث فـى بورصات العالم .. وأسواق المـال فـيـها .. تُلـقى بالألوف من الناس إلى الإفـلاس .. ولو كان هناك تنبؤ .. لما أفلس أحد .. ولكننا نسمع ونقرأ عن شركات كبيرة تفلس وتغلق أبوابها فى شهور .

ليس مـعنى هذا .. ألاَّ نـبـحث عن الرزق .. وألاَّ نأخـذ بأسبـابه .. فقد أُمـرْنا بالأخذ بالأسبـاب .. ولكن علينا أن نرضى .. بمـا تعطَيه لنا الأسـباب .. ونعـرف أن هذا قدر الله ورزقه .

إن بعض الناس يعتقد أن الرزق هو ما يملكه الإنسان ..

وهذا اعتقاد خاطىء .. فالرزق هو ما ينتفع به .. ولذلك تجـد إنساناً يملك المـلايين .. وهو حريص عـليهـا .. فلا يفرط فى قـرش منها .. إنه يرتـدى ثياباً قديمـة .. ويأكل أقل القليل .. ولا يتمتع بما يملك !!

نقول : إن هذه الملايين ليست رزقه .

إن الملايين التى يملكها هى حقيقة ناتج عمله .. ولكنها

ليست رزقه .. إن رزقه هو ما ينتفع به .. سواء بالمأكل والملبس .. أو ما يتصدق به ليبقى له عند الله فى الآخرة .

ولذلك يقول رسول الله ﷺ :

« يقول ابن آدم : مالى مالى .. هل لك يا ابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ، أو لبست فأبليت ، أو تصدقت فأبقيت ؟» .

هذا هو رزق الإنسان كما أخبرنا رسول الله ﷺ .. أما باقى ما يملكه فهو ليس رزقه .. ولكنه رزق غيره .. وهو يحرسه دون أن يدرى .. حتى يوصله لأصحابه .

أنت عندما ترى إنساناً بخيلاً .. رغم أنه يملك الكثير .. فاعلم أنه رغم ثرائه .. رزقه قليل !! إن رزقه هو ما ينتفع به فقط .. أما ما لا ينتفع به .. فهو رزق غيره .. وهو حارس عليه .. إلى أن يوصله إليهم .. ولأن تكليفه بالحراسة عليه هو من أقدار الله .. لهذا نجده لا يفرط فى قرش واحد .. حتى يصل المال إلى صاحبه الذى سينتفع به.

إذن : الذى نريد أن نقوله رداً على كل ما يقال .. إنه لو كان من الممكن السيطرة على الرزق بالحسابات والكمبيوتر وغير ذلك .. لما حدثت ـ كما قلنا ـ الانهيارات فى بورصات العالم والتى تحدث بين الحين والآخر .. وتؤدى إلى إفلاس العديد من الشركات .. ولما حدثت الأزمات الاقتصادية .. التى لا تستطيع دولة فى العالم أن تتجنبها .

أين يحدث الموت ؟

ننتقل بعد ذلك إلى قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ .. ﴿٣٤﴾ ﴾ [لقمان] .. الله تبارك وتعالى أخفى موعد الموت عنا جميعاً .. وهذا الإخفاء له حكمة .. فلو أن كل إنسان عرف أجله .. لَقَلَّ الخير وكثر الشر فى العالم .

لماذا ؟

لأن كل إنسان سيرتكب من الشرور والآثام الكثير .. ما دام يعرف أن للأجل بقية .. ولن يفعل الخير إلا إذا اقترب أجله .. ولكن لأننا لا نعرف الأجل ـ فقد يكون غداً أو بعد غد .. أو بعد سنوات أو بعد ساعة ـ فكل إنسان مؤمن يسرع إلى عمل الخير .. خوفاً من أن يكون أجله قد اقترب ..

وبحلول الأجل لا يكون للإنسان اختيار يزيد به حسناته .. أو يقلل به سيئاته .. فعمل الإنسان ينتهى بالموت .. ولذلك فإن الله سبحانه وتعالى يصف عباده المقربين بقوله تعالى :

﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [الأنبياء]

إن إخفاء موعد الموت .. هو أكبر إعلام به .. ذلك أنه

يجعلك تتوقعه فى كل يوم .. وهذا يدفعك إلى فعل الخير .. وتجنب الشر والمعصية كل يوم .. خوفاً من أن يكون أجلك قد اقترب .. فتلاقى الله سبحانه وتعالى بلا حسنات .. ولذلك فإن توقُّع الأجل هو تنبيه للإنسان لكى يسارع إلى الخير .

وكما أخفى الله سبحانه وتعالى موعد الموت .. أخفى مكانه .. فلا يعرف إنسان فى أى مكان سيموت .. فقد تجد مثلاً شخصاً مسافراً فى طائرة .. يأتى فلا يجد مكاناً عليها .. فيحاول بشتى الطرق أن يحصل على مكان .. وربما تشاجر .. وربما اتصل بأكثر من مسئول .. وأخيراً يتخلف أحد الركاب .. فيأخذ مكانه .. ويفرح بذلك فرحاً شديداً .. لأنه ذاهب إلى مهمة عاجلة .. ولا تكاد الطائرة تطير ساعة أو ساعتين .. حتى تحترق . فيكون هو قد سعى إلى أجله .. وبذل جهداً كبيراً لكى يسافر .. إلى المكان الذى سيموت فيه .. وهو لا يدرى .

الأقدار .. وعلم الإنسان

لقد قيل : إنه فى عهد سليمان عليه السلام .. جاءه شخص وهو فى غاية الانزعاج .. وطلب من سليمان أن تحمله الريح إلى بلد بعيد .. لأنه رأى ملك الموت .. وكان ملك الموت فى ذلك الوقت يأتى ظاهراً .. وليس خفية كما يحدث الآن .

المهم أن هذا الرجل طلب من سليمان أن تحمله الريح إلى بلد بعيد .. لأنه رأى ملك الموت ينظر إليه نظرة غريبة .. فأجابه سليمان إلى طلبه .. وأمر الريح أن تحمله إلى أقصى الأرض .

وعندما شاهد سليمان ملك الموت .. قال له : لقد أزعجت الرجل بنظرتك إليه .. فلماذا نظرتَ إليه هذه النظرة ؟.. فقال ملك الموت : شيء عجيب حدث .. إننى رأيت هذا الرجل هنا .. مع أننى مأمور أن أقبض روحه فى أقصى الأرض بعد ساعات .. فملأنى العجب .. كيف يكون هذا الرجل هنا .. وكيف سأجده بعد ساعات فى أقصى الأرض ؟!

وعرف سليمان أن الرجل كان يسعى إلى أجله .. والله سبحانه وتعالى يقول فى كتابه العزيز :

﴿ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ

فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤)﴾ [آل عمران]

وقد نزلت هذه الآية الكريمة فى المنافقين الذين قعدوا ولم يذهبوا إلى الجهاد فى سبيل الله .. يقولون وهم يتحدثون مع إخوانهم المنافقين : لو أطاعنا المؤمنون ولم يذهبوا إلى الجهاد مع رسول الله ﷺ .. لكانوا أحياء معنا الآن .

فيرد عليهم الحق سبحانه وتعالى .. إن القعود عن الجهاد لا يطيل أجلاً .. والذهاب إلى الجهاد لا يقصر أجلاً ؛ لأنه لو جاء أجل الإنسان لخرج يسعى إلى المكان الذى سيموت فيه بقدميه .

إن كل واحد منا عندما يأتى أجله يسعى بنفسه إلى المكان الذى كُتب له أن يموت فيه ويسعى بحماس ، ولذلك فإن الذينَ يحاولون أن يوهموك أنك إذا سافرت أو خاطرت .. أو ذهبت إلى الجهاد فى سبيل الله .. ستُقتل أو تموت . لا يعرفون معنى قضاء الموت ، لأن الإنسان فى الحرب إذا لم يكُنْ أجله قد جاء فإنه لا يموت ويعود

سالماً .. والإنسان فى حجرة مغلقة لا يغادرها .. متى جاء أجله يموت .

وهذا هو خالد بن الوليد ـ رضى الله عنه ـ ذلك القائد الذى حارب عشرات الغزوات .. مات على سريره .. وقال وهو يحتضر : لقد حضرت غزوات كذا وكذا زحفاً .. وما فى جسدى موضع شبر إلا فيه ضربة سيف .. أو رمية سهم .. أو طعنة رُمْح .. وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعير .. فلا نامت أعين الجبناء .

الحـرب .. والمـوت

وهكذا نرى أن المكان أو الأرض .. التى يـموت فـيهـا الإنسان لا علاقة لها بالأحداث الدنيوية .. فلا تكون ساحة الحرب بالضـرورة هى المكان الذى يموت فيـه الإنسان .. ولا يكون البيت الآمن بالضرورة هو الذى يعطـى استمرار الحياة للإنسان .

والله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ .. (٧٨) ﴾ [النساء]

وهكذا نعـرف أنه لا يوجد مكان .. يأمن فـيه الإنسـان من الموت ؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ .. (٨) ﴾ [الجمعة]

فإذا كـانت هذه هى الـحـقيقـة .. فإننا نقـول : إنه يوم يولد الإنسـان .. ينطلق سهـم الموت مع سـهـم الحيـاة .. ويظل ملك الموت يبحث عنه فلا يجده .. إلا ساعة يقضى الله بالأجل .. فيتم اللقاء .

إن هذه الآية الكريمة التى تقول :

﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ .. (٣٤) ﴾ [لقمان]

لا يستطيع أحد أن يجادل فيها .. ولا أن يقول إنها انكشفت .. فالعلم حتى الآن لا يستطيع أن يحدد لحظة الوفاة .. والله سبحانه وتعالى كما أخفى موعد الموت .. أخفى مكانه .

ونحن نرى كل يوم فى الحياة ما يعطينا معنى الآية الكريمة :

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ .. (٣٤)﴾ [لقمان]

فالسائح يسافر إلى بلد بعيد .. فيشبّ حريق فى الفندق الذى ينزل فيه .. فيلقى حَتْفه ، ويكون قد جاء من بلده بنفسه إلى هذا المكان ليموت فيه ، فيكون سَعَى بنفسه إلى الموت .. وهناك إنسان يحاول أن يحتمى بمكان .. فيكون فى هذا المكان أجله .

إننا نرى بعض الذين نعرفهم .. وهم يسعَوْنَ بقوة ليذهبوا إلى الأرض التى سيموتون فيها ، ولذلك فإن هذه الآية الكريمة لا تحتاج إلى إيضاح أكثر مما ذكرناه .

وإذا كُنَّا قد تحدثنا عن الغيب المطلق .. والغيب النسبى .. ولماذا أخفى الله سبحانه وتعالى الغيب عنا .. وكيف مزق القرآن الكريم حجب الغيبِ كلها ؟ فلابد من حديث عن معنى الآية الكريمة :

﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ .. ﴿١٨﴾ ﴾ [التغابن]

ومعنى قوله تبارك وتعالى :

﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ .. ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام]

لنعرف المعنى العميق .. لهاتين الآيتين الكريمتين .. وليقترب من أذهاننا .. كيف أن عالِمَ الغيب والشهادة لا يخفى عليه شىء فى الكون .



الفصل السادس

عالم الغيب والشهادة



الله سبحانه وتعالى .. هو
وحده : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ..
(١٨)﴾ [التغابن] .. وقد يتعجب بعض
الناس .. لماذا جاءت كلمة الشهادة
هنا والمقصود بها العَالَمُ
المشهود ؟

ونقول : إنها جاءت حتى لا يعتقد أحد أن الله سبحانه وتعالى ـ لأنه غَيْبٌ عنَّا ـ يعلم الغيب فقط .. وأنه جَلَّ جلاله .. يغيب عن علمه ذلك العالم المشهود الذى نعيش فيه .. فجمع الله بين العالمين .. عالم الغيب وعالم الشهادة ، ليغلق باب التأويل والاجتهاد .. فالله سبحانه وتعالى عنده علم الغيب .. وعنده علم المشهود الذى يحدث فى الدنيا .. وبهذا لا يغيب عن علمه شئ .. لا فى الأرض ولا فى السماء .

إن معنى عالم الغيب .. هو أنه يعلم كل ما هو غيب عنا .. وكما قلنا نحن نعلم القليل .. والقليل جداً مما فى الكون .. ولا نعلم الكثير .. ولذلك فإن كلمة (عالم الغيب) تقتضى علماً مطلقاً لله سبحانه وتعالى .. فكل ما هو غائب عنا يعلمه الله تبارك وتعالى .

الكون غيب عنا .. ولكن الله يعلمه .. وعالم الجن غيب

عنا ، ولكنه لا يغيب عن علم الله جل جلاله .. وعالم الملائكة غيب عنا .. ولكن الله عز وجل يعلمه .. وما ينزل إلى الأرض .. وما يصعد إلى السماء .. كلاهما غَيْب عنّا .. ولكن الله جل جلاله يعلمه .. وعالم البرزخ غيب عنا .. وكذلك يوم القيامة .. والحساب والآخرة .. والجنة والنار .. كل هذا غَيْب عنا .. ولكن الله تبارك وتعالى يعلمه .

علم الله بلا حدود

إن ما سيحدث بعد يوم القيامة غيب عنا ولكن الله يعلمه .. وما يقع فى باطن الأرض غيب عنا ولكن الله يعلمه .. والثمرة التى ستنبت بعد ألف سنة غيب عنا ولكن الله يعلمه .. والإنسان الذى يُولَد قبل القيامة بساعات غَيْب عنا ، ولكن الله يعلمه .. والورقة التى ستسقط بعد مئات السنين أو ألوف السنين غَيْب عنا ولكن الله يعلمه .. وأحداث الدنيا كلها التى ستقع .. غَيْب عنا ولكن الله يعلمها .

ولنقرأ قول الحق سبحانه :

﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣) ﴾ [الحديد]

لقد أراد الله تبارك وتعالى .. أن يُخلِّص المؤمنين به من الانفعال ومن القلق .. لأنهما يسببان أمراضاً قاتلة للجسد .. ولكى يعيش المؤمن والمؤمنة حياة طيبة .. طلب الله جل جلاله منهم ألاّ يحزنوا على ما فاتهم .. وألا يفرحوا بما جاءهم .. لأنها كلها أقدار الله .. لها حكمة .. فقد يكون ما فاتهم شراً جنَّبهم الله إياه .. وما جاء ليس خيراً لهم .. فلا يفرحوا به .

ولنبدأ من البداية .. الله سبحانه وتعالى قبل أن يخلق الكون .. كان علمه يحيط بكل أحداث هذا الكون .. وحدد الله تبارك وتعالى غايته .. ذلك أنك لابد أن تحدد الغاية قبل أن تبدأ العمل .

نحن ـ على سبيل المثال ـ حين نريد أن نبني بناء .. أنذهب نبني هكذا ؟ أنأتي بالمهندسين ونقول لهم : أقيموا لنا بناء ؟ طبعاً لا .. وإنما لابد أن نحدد البناء أولاً .. لأن البناء سيختلف حسب الغاية .. فلو أردنا أن نبني بناء للسكن .. فإن هذا البناء سوف يختلف قطعاً فيما لو أردنا أن نبني مصنعاً ، أو مقر شركة .

إذن : فالغاية تُحدَّد أولاً .. ثم بعد تحديد الغاية .. نبدأ التنفيذ .

الدنيا دار اختبار

الغاية بالنسبة للحياة الدنيا .. هى أنها دار اختبار .. يختبر الله سبحانه وتعالى عباده فى طاعته .. ولقد قلنا : إن كل شىء خلقه الله سبحانه وتعالى مختاراً .

هناك مَن اختار مرة واحدة .. اختار أن يكون مقهوراً .. كالشمس والجبال والبحار .. والكون كله ما عدا الإنس والجان .. ومنهم من اختار أن تكون له اختيارات متعددة .

إذن : هناك من اختار مرة واحدة .. اختار أن يكون مقهوراً .. لأنه لا يضمن نفسه .. إذا أعطى الاختيار فى الطاعة هل يعطيها حقها أم لا .. وهناك من غرَّه عقله .. فَقبل اختيار أن يأتى الله عن حب ، وليس عن قهر .

لكن ، لا الذى اختار القهر خرج عن علم الله ، ولا الذى آثر الاختيار خرج على علم الله .. إن كل ما حدث أو سيحدث كان فى علم الله سبحانه وتعالى قبل أن يحدث ..

واقرأ قول الله جل جلاله : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً .. (٣٠)﴾ [البقرة]

أقالها الله سبحانه وتعالى .. وهو يخبر الملائكة عن خَلْق آدم بعد أن خلق آدم .. أم قبل أن يخلقه ؟.. الله تبارك

وتعالى يقول : ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) ﴾ [الحجر]

إن الأمر بالسجود من الله جَلَّ جلاله للملائكة كان قبل خَلْق آدم .. وبعد أن أخبر الله تبارك وتعالى الملائكة أنه سيخلق خليفة في الأرض .. إذن : فآدم مخلوق أساساً .. ليعمر الأرض ويعيش فيها .. وتكون له ذرية إلى يوم القيامة .

فكأن علم الله سبحانه وتعالى قد شمل خَلْق الكون وحدَّد له الغاية .. وشمل خَلْق آدم ، وحدَّد له الغاية .. ثم شمل بعد ذلك كل ما يجعل هذه الغاية ممكنة التنفيذ .. فخلق الماء والنبات والحيوان .. كضمان لاستمرار حياة آدم وذريته .. على الأرض إلى يوم القيامة .

يقول الحق سبحانه وتعالى :

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٩) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ (١٠) ﴾ [فصلت]

إننا إذا تدبرنا هاتين الآيتين الكريمتين .. نجد أن الله سبحانه وتعالى .. قدَّر في الأرض أقواتها يوم الخلق .. ومعنى ذلك أنه ـ جل جلاله ـ قد علم مَنْ سيعيش على

الأرض حتى يـوم القيامـة من بشر .. وحـيوان وحـشرات ونبات .. علم كل هذا بالتفصيل .. حتى يدبر لكل نوع قُوتَهُ الذى يكفيه إلى يوم القيامة .

كل ذلك فى علـم الله ـ تبـارك وتعـالى ـ قــبل أن يخلق الأرض .. من كل أجناس الوجـود .. إلى أن تنتــهى الأرض وتدمر .. حـتى يدبر لهم جمـيعاً .. مـا يحتاجـونه من قُوتٍ للحياة .

كل شيء بمقدار

ولكي يخلق الله هذا القوت .. فلا بد أن يكون في علمه ليخلقه .. والله سبحانه وتعالى خالق .. قبل أن يوجد شيء يخلق .. لأنه أوجد وخلق بصفته الخالق .. فالصفة وُجِدَتْ أزلاً .. ثم وُجد الخلق .. وكذلك كل صفات الله سبحانه وتعالى أزليَة .. فالله رحيم قبل أن يوجد مَنْ يستحق الرحمة .. ورزاق قبل أن يوجد من يحتاج للرزق .. وهكذا كل صفاته جل جلاله .

ثم نُكمل الآيات الكريمة ، فيقول سبحانه :

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ (١١) فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا .. (١٢)﴾ [فصلت]

وهكذا نعلم من الآية الكريمة .. أن الله جل جلاله .. قد أوحى في كل سماء أمرها .. أي : أنه جعل فيها ما شاء من أحداث .. إلى أن تزول السماوات والأرض .. وهذا يقتضي علماً بكل ما سيحدث في السماوات إلى أن تزول .

وبما أن الله سبحانه وتعالى .. هو خالق السماوات والأرض .. فهو جَلَّ جلاله الذي يبقيها إلى أجلها .. ومعنى يبقيها أي : يمنعها من الزوال .. حتى يأتي الأمر لها بأن تزول .

لا شيء عشوائى

من هذه الآيات الكريمة .. نعرف أن الحق سبحانه وتعالى .. عنده علم غيب الكون كله قبل أن يخلق .. لأنه قبل الخَلْق قدَّر أشياء .. لابد أن تكون موجودة حتى نهاية الكون .

ولكى نُقرِّب هذه الصورة إلى الأذهان .. نقول : نحن عندما نريد أن نبنى بناء أو عمارة .. فبعد أن نحدد الغرض منها لا بد أن نقيم لها ما يسميه المهندسون (ماكيت) .. أى : صورة تشمل كل التفاصيل .. التى سيتم على أساسها البناء .. وبدون هذه التفاصيل لا نستطيع التنفيذ .. فلا شىء يتم تنفيذه عشوائياً .

ولكن لا بُدَّ أن يكون هناك تصور أولاً لهذا الشىء .. ليأتى تنفيذه متفقاً مع الغرض منه .

وإذا كان المهندس الذى يقوم بالتنفيذ بارعاً .. فإنه يجعل فى هذا الماكيت أدقّ التفاصيل ويُبرزها ويُحدّدها .. ثم يأتى التنفيذ على وَفْق ما خطط ودبَّر .. فإذا كان القائم بهذا العمل هو الله سبحانه وتعالى عالم الغيب .. فإن هذا الماكيت الذى يُوضَع .. لا بُدَّ ألاَّ يغيب عن علمه فيه شىء مهما كان صغيراً .. وأن يأتى التنفيذ .. وَفْق ما قرره الله سبحانه .. دون أى اختلاف .

وإذا قرأت قَوْلَ الحق سبحانه وتعالى :

﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (٦١) ﴾ [يونس]

تجد أنه عند نزول هذه الآية .. لم يكن هناك تصادم .. بين العلم والقرآن الكريم ، ذلك لأن العلماء إلى وقت قريب .. كانوا قد وصلوا .. إلى أن الذرة هى أدق مكونات المادة التى لا تتفتت .. ثم تقدّم العلم .. واستطاع الإنسان أن يفتت الذرة ويُفجِّرها .. فقالوا : تصادم القرآن مع العلم .. لأن الله سبحانه وتعالى .. ذكر الذرة على أساس أنها أدق مكونات المادة .

ونقول لهم : إنكم لم تفهموا القرآن ، لأن الله سبحانه يقول : ﴿ وَلا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ .. (٦١) ﴾ [يونس] .. ومعنى « أصغر » أن هناك مرحلتين .. صغيرة وأصغر .. وتفتت الذرة وصل بنا إلى مرحلة صغيرة .. ولكن هناك ما هو قادم من تفتيت لذرات المادة أكثر مما توصّل إليه العلم الآن .

إننا نقول هذا .. لأن حدوث أمر مثل تفتيت الذرة دون أن تكون له إشارة فى القرآن الكريم .. يتنافى مع أن الله سبحانه عالم الغيب .. فهو جلَّ جلاله .. لا يغيب عن علمه

شيء في هذا الكون .. مهما كان دقيقاً .

واقرأ قول الحق ـ سبحانه وتعالى ـ في سورة لقمان :

﴿ يَـٰبُنَيَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَـٰوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) ﴾ [لقمان]

والخردل حبة في غاية الدقة وخفّة الوزن .. ولكي تقترب من أذهاننا صورة هذا المثَل الذي ضربه الله ـ سبحانه وتعالى ـ لنا في القرآن الكريم .. علينا أن نتصوَّر حجم حبة الخردل بالنسبة لحجم السماوات والأرض .. لنعرف دقة علم عَالِم الغيب .. الذي لا يغيب عن علمه .. حتى هذه الحبة الدقِيقة .. ومكانها في هذا الكون الهائل .. ولنعلم يقيناً أنه لا شيء يغيب عن علم الله تبارك وتعالى .

موجود .. فى علم الله

الله جَلَّ جـلاله خلق السمـوات .. وخلق الجنة والنار .. وخلق الآخرة ويوم القيامة .. كُلُّ ذلك موجود فى علمه .. كما قلنا فى : ماكيت دقيق .. يحتوى على كل التفاصيل .. لأنه جَلَّ جلاله قبل أن يخلق دبَّـر ما لأهل الجنة من نعيم .. وقدَّر له أن يوجد .. ومـا لأهل النار من عذاب .. وقدَّر له أن يوجـد .. وهو سبحـانه وتعالى .. وإن لم يُبـرِز لنا هذا من عالم الغـيب إلى عالمنا المشـهود .. فإنه مـوجود عنده فى علْمه بكل تفاصيله .

ولابد أنَ نلتفتَ إلى قول الحق سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢)﴾ [يس]

لا بُدَّ أن نلتـفت هنـا إلى قـوله تعـالى : ﴿أَن يَقُـولَ لَهُ (٨٢)﴾[يس] .. ومعنى يقول له .. أنه موجود فى علم الله .. وعندمـا يريد الله سـبـحانه وتعـالى أن يُخـرجـه إلى علم البشر .. أو إلى عالمنا المـشهود .. أن يقولَ له « كن » .. أى : يقـول لشىء مـوجـود عنده جل جـلاله : « كُنْ » .. فيخرج من علم الغيب إلى العالم المشهود .

إن الله جَلَّ جلاله .. يعطينا فى القـرآن الكريم أكثر من آية عن معنـى عالم الغيب .. وذلك رحـمة بعـقولنا .. لأنه جل جلاله ـ فـى كل شىء غيبى ـ يأتى بـشـىء مُحَسٍّ ..

يُقرِّب الصورة إلى الأذهان .

فمثلاً ، خَلْقُ الإنسان غَيْبٌ عنَّا .. فلم يشهد أحد منا خَلْق نفسه .. أو خَلْق غيره .. ولكن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أخبرنا بالخلق .. فقال جل جلاله : إنه خلق الإنسان من تراب .. من طين .. من حمأ مسنون .. من صلصال كالفخار .. ثم نفخ فيه من روحه .

إذا أخذنا التراب .. وأضفْنا إليه الماء أصبح طيناً .. فإذا تركناه تتفاعل عناصره .. أصبح حمأ مسنوناً .. كالذى يستخدمه البشر فى صناعتهم .. ثم يجف فيصبح صلصالاً .

هذه هى قضية الخَلْق وهى غَيْب عنَّا ، والله سبحانه وتعالى يريد أن يُقرِّب إلينا هذا المعنى .. ولذلك جعل من الموت دليلاً على قضية الخلق .. فالموت نَقْض للحياة .. أى : أن الحياة تكون موجودة والله ينقضها بالموت .. ونقض الشىء يأتى على عكس بنائه .

إننا إذا أردنا أن نبنى عمارة .. فإننا نبدأ ببناء الدور الأول .. لكن إذا أردنا أن نهدمها .. نبدأ بالدور الأخير !.. وإذا أردنا السفر إلى الأسكندرية فإننا نبدأ من أى مكان حتى نصل إلى الأسكندرية .. فإذا أردنا العودة .. كانت أول نقطة فى العودة هى الإسكندرية .

الخلق .. والحياة .. والموت ..

ونحن لم نعلم شيئاً عن خلق الحياة .. لأننا لم نكن موجودين ساعة الخلق .. ولكننا نشهد الموت كل يوم .. والموت نَقْض للحياة .. ولذلك يحدث على عكسها .

إن أول شيء يخرج من الإنسان عند الموت .. هو آخر شيء دخل فيه عند الحياة .. وهو الروح .. فالروح آخر ما يدخل في الإنسان .. عند الخَلْق ليعطيه الحياة .. وأول ما يخرج منه ساعة الموت .

ثم تبدأ مراحل الموت عكس عملية الخلق ..

يتصلب الجسد فيصبح صلصالاً كالفخّار .. ثم يتعفّن فيصبح كالحمأ المسنون .. ثم يتبخّر الماء من الجسد .. ويصبح الطين تراباً .. ويعود إلى الأرض مرة أخرى .. تراباً كما بدأ .

وهكذا نرى أن الله سبحانه وتعالى .. رحمةً بعباده يعطينا في قضايا الغيب ما يُقرِّب هذه القضايا إلى أذهاننا .. ولابد أن نأخذ نحن عن الله كل ما يتعلق بالغيب .. ولا نأخذه إلا عن منهجه سبحانه وتعالى .. فهو الذي يعلم وحده .. وهو القادر وحده على أن يعطينا الصورة الصحيحة .. لأن الغيب غير مشهود لنا .

هناك آيات في القرآن الكريم تُقرِّب لنا معنى : « عالم

الغيب » .. هذا المعنى الكبير .. الذى لا بد أن نلتفت إليه .. واقرأ قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ .. (٤٧) ﴾ [فصلت]

وقول الله جل جلاله :

﴿ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١١) ﴾ [فاطر]

وقول الله سبحانه :

﴿ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ .. (٥) ﴾ [الحشر]

وهكذا نرى أن هناك آيات كثيرة فى القرآن الكريم .. تُقرِّب إلى أذهاننا معنى : « عالم الغيب » .. وإذا كان الله سبحانه وتعالى قد ضرب لنا الأمثال بأشياء مشهودة .. فلا بُدَّ أن نعلم أن هذه الأشياء قبل أن تكون مشهودة لنا .. كانت غيباً عنا .

عالم الشهادة ..

فإذا انتقلنا إلى عَالَمِ الشهادة .. وهو العالم المشهود .. فلابد أن نعرف أن كلَ شيء .. فى هذا العالم المشهود .. يعلمه الله .. بل يعلم ما يدور فى أنفسنا ولا نبديه .. ولم نهمس به إلى أحد .

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ .. (٢٣٥) ﴾ [البقرة]

ولنا أن نتصور .. كم نفساً موجودة فى العالم فى وقت واحد .. وما يدور فى كل نفس .. فى وقت واحد .. وكيف أن الله سبحانه يعلمه جميعاً .. بل يعلم ما دار فى كل نفس .. منذ عهد آدم حتى الآن .. ويعلم ما سيدور فى كل نفس حتى يوم القيامة .. لتقترب إلى أذهاننا الصورة .

واقرأ قَوْل الحق جَلَّ جلاله :

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَـٰوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلا أَكْثَرَ إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا .. (٧) ﴾ [المجادلة]

إن هذه الآية الكريمة تعطينا معنى آخر .. فكل عدد من الناس يجلسون فى أى مكان .. سواء فى طائرة .. أو فى غواصة .. أو فى سيارة .. أو فوق جبل .. أو فى سهل ..

أو فى أى مكان فى الدنيا .. فإن الله معهم .. يستمع إلى قولهم .. وما يتحدثون به وما يتناجون ، ولذلك فكل كلمة محسوبة .. كل ما ينطق به اللسان عليه ثواب أو عقاب .

هذا العلم الهائل .. الذى يحيط بكل نفس فى الدنيا .. هو من الله سبحانه وتعالى ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ .. (٧٣) ﴾ [الأنعام]

بل نذهب إلى أعمق من ذلك فى قول الحق جل جلاله :

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى (٧) ﴾ [طه]

نحن نعلم ما هو السر .. إنه ما يُسر به الإنسان لغيره .. والسر يكون بين اثنين .. دون أنَ يعرفه ثالث .. فما الذى هو أَخْفى من السر ؟ إنه الذى فى الصدور .. لا تنطق به الشفاه .

ويُحكى أن عالماً أراد أن يمتحن تلاميذه .. فأعطى كل واحد منهم ديكاً وسكيناً .. وقال : أريد أن يذهب كل واحد منكم إلى مكان لا يراه فيه أحد .. ويذبح الديك ثم يعود إلىَّ .. فعاد كل التلاميذ ، وقد ذبح كل منهم ديكه .. ما عدا تلميذاً واحداً .. عاد ومعه الديك لم يُذْبَح .. فلما سأل الأستاذ تلميذه : لماذا لم تذبحه ؟ قال : لم أجد مكاناً لا يرانى فيه الله .

نحمد الله الذى وفَّقنَا فى استعراض بعض المعانى لقول الحق سبحـانه وتعالى : ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ .. (٧٣)﴾ [الأنعام] ذلك المعنى الكبير .. الذى لا يستطيع أن يحيط به عـقل .. ونرجو من الله سـبحـانه وتعالى .. أن يكون قـد وفَّقنا لما فيه الخير .. وهدانا فيما قلناه .

والله الهادى إلى سواء السبيل .

الفهـــرس

صفحة

صفحة

● العنوان على الانترنت
WWW. akhbarelyom. org\ketab
● البريد الالكترونى
akhbar el yom@akhbarelyom. org

رقم الإيداع ٩٨/٣٢٣١
الترقيم الدولى
I.S.B.N.
977 - 08 - 0717 - 6